

المقابر

الدرر الكامنة

ليس احسن من تراجم الرجال للوقوف على حال السياسة والاجتماع في عصر من العصور في جملة ما طبع من كتب التراجم والطبقات كتاب خلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمعجمي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمراي المتوفى سنة ١٢٣٣ ولم تطبع تراجم اعيان القرن الثامن والتاسع والعاشر وان كان مثل السبكي في طبقاته والصلاح الكتبي في وفياته قد تعرضا لبعض المترجمين في الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لحافظ عصره قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن علي بن حجر الكنافي المسقلاني الاصل المصري والضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ وان لم يدركا من الرجال من جاء بعد من ذكرهم صاحب الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة النجم الغزي المتوفى سنة ١٠٦١

وها نحن نتكلم على « الدرر الكامنة » وسنعبه في الجزئين التاليين بالكلام على الضوء اللامع والكواكب السائرة .

جاء في كشف الظنون : الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لشهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثلاثمائة مجلد ضمن اوله الحمد لله الذي يحيي ويميت الخ جمع فيه تراجم من كانت في المائة الثامنة من الاعيان مرتباً على الحروف ذكر في آخره انه فرغ منه في شهر سنة ٨٣٠ ثلاثين وثلاثمائة ولم يكمل الغرض لبقايا من التراجم في الزوايا ثم اختصره جلال الدين السيوطي في مجلد ولابن المبرد ايضاً مختصره

أما الكتاب الذي نحن بصدده فنه في دمشق مخطوط ^(١) قدم بخط إبراهيم البقاعي مهمل غير ميم وتعمد في الأحابن قراءته وهو في مجلد ضخم من القطع الكبير قال في مقدمته : « أما بعد فهذا تعليق مفيد جمعت فيه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية من ابتداء سنة إحدى وسبعائة إلى آخر سنة ثمان مائة من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء وعينت فيه برواة الحديث النبوي فذكرت من أسلمت على حاله وأشرت إلى بعض مروياته إذ الكثير منهم شيوخ شيوخي وبعضهم أدركنه ولم ألقه وبعضهم لقيته ولم أسمع منه وبعضهم سمعت منه وقد استمدت في هذا الكتاب من أعيان العصر لأبي الصفا الصفدي ومجاني العصر لشيخ شيوخن أبي حيان وذخيرة العصر لشهاب الدين ابن فضل الله وتاريخ مصر لشيخ شيوخن الحافظ قطب الدين الحلبي وذيل سير النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي وذيل المرأة للحافظ علم الدين البرزالي والوفيات للعلامة نبي الدين ابن رافع والذيل عليه للعلامة شهاب الدين ابن جسي ومآجعه صاحبنا تقي الدين المقرئ في أخبار الديار المصرية وخطوطها ومعالم كثير من شيوخن والوفيات للحافظ أبي الحسين بن أسد الدين أبي الذيل عليه لشيخنا الحافظ أبي الفضل بن الحسين العراقي وتاريخ غرناطة للعلامة لسان الدين ابن الخطيب والتاريخ للقاخي ولي الدين ابن خلدون المالكي إلى غير ذلك وبالله الكريم عوفي وإياه أسأل عن الخطأ صوفي أنه قريب بحسب . »

وهذا المجلد في ٢٦٧ ورقة مرتب على حروف المعجم يميل فيه المؤلف إلى الاختصار وفيه من تراجم المشاهير ترجمة أبي جعفر ابن الزبير والشهاب الأذري وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن فضل الله العمري وعماد الدين ابن كثير وابن الوردي وابن الشهاب محمود وابن المطهر الشيعي والصالح الصفدي والعلائي والطوفي وابن خطيب داريا وابن عقيل وابن القيم وبرهان الدين القيراطي وابن هشام وابن رجب وابن جماعة والتاج السبكي والأردبيلي والتقي السبكي والسلطان محمود غازات والحافظ البرزالي وابن الأكفاني والحافظ الذهبي وشيخ الربوة ولسان الدين ابن الخطيب والخطيب القزويني والكمال ابن الزمكاني وابن دقيق العيد والبدر البلقيني وابن الوكيل وابن سيد الناس وابن نباتة وابن الحاج وابن المكرم والشمس القنوي وأبو حيان الأندلسي وقطب الدين الشيرازي والبازري والحافظ المزني وغيرهم ممن كانوا غرة ذلك القرن

(١) في خزانة كتب الشيخ اسمعيل الميداني من بيت علم مذكور في دمشق

كما ان فيه من الخاملين ممن لانسقط لهم على تراجع ولو مختصرة الا سيفه هذا السفر
ومن اعظم ما يلفت نظرك في هذا الكتاب روح التعصب التي كانت مستحوذة سيفه ذاك
العصر ايام كان يقتل كل من يخالف الجمهور في فكر او مذهب فتقرأ فيه صورة مكبرة
من حال ذاك القرن الذي استولت فيه على هذه البلاد الجراكمة والشار من اصبحوا العوبة
في ايدي المتعصبة من رجال الدين وهالك ما قاله في ترجمة اسمعيل بن سعيد الكردي
المصري « تفقه وتبحر في القراءات والفقه والعربية وكان طلق العبارة سريع
الجواب حسن التلاوة بدري الحايي والحاجية ويحفظ الكثير من النوراة والانجيل
رعي بالزندقة بسبب انه كان كثير الهزل وحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له
اسمعيل الكافر واسمعيل الزنديق وطلب الي تقي الدين الاخنائي وادعي عليه بخلط في
كلامه فجنج نجاه شخص من الصالحين فاخبره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم سيفه
منامه فقال له قل : للاخنائي يضرب رقية اسمعيل فانه سب اخي لولا فاستدعى به واعاد
مجلساً وأقيمت عليه البيعة بامور معضلة فامر به فقتل بحكم المالكي ون التصرين في السادس
والعشرين من صفر سنة عشرين وسبعائة نقلته من خط القبط وذكر انه حضر ذلك
وقال كان قد نظر في المتعلق فدخل في كلام لا فائدة فيه فضبط عليه . وقرأت في تاريخ
موسى بن محمد اليوسفي انه كان مشهوراً بالعلم بين الفقهاء وله فضيلة مشهور سيفه الادب »
قلنا واقع بعصر ينتل فيه العالم عقيب رؤيا يراها احد ارباب الخيال .

ومن ضربوا على الزندقة « ناصر بن ابي الفضل بن اسمعيل المقرئ الصالح ولد سنة
٦٦٦ ونشأ جميلاً جاداً وكان صوته مطرباً فكان يقرأ في الختم والترب وحفظ التنبيه
ثم صاحب الباجر بقي محلي فصار يقع منه كلمات معذلة وسلك سبيل التزهيد ودخل الى بغداد
مع ركب العراق فيقال انهم تنعموا عليه شيئاً وهموا به فتوجه الى ماردين ثم فر منها الى
حلب فخرى على عادته في الشطح فانكر عليه كمال الدين بن الزملكاني وهو يومئذ قاضي
حلب فقبض عليه وارسله مقيداً الى دمشق فقامت عليه البيعة عند الناضي شرف الدين
المالكي فاعذر اليه فما ابدى عذراً بل تشهد وملى ركعتين وجهر بتلاوة القرآن ثم ضربت
عنقه وذلك في ربيع الاول سنة ٧٢٦ ويقال انه انشد حين قدم ليقتل

ان كان سفك دمي أقصى مرادهم فاعلت نظرة منهم بسفك دمي

وقال ابن حبيب قلت فيه لما قتل

باليها البقي هيت الى الردى كم تجتري بلسان خب هالك

ارسلت من حلب بطلب موثقاً ونقلت بعد الشافعي لمالك

وفي الحاشية بخط ابن حيان القاعي : قال ابن كثير : ضربت عنه « بسوق الخليل على كفره واستهتاره بآيات الله وشركه وصحبته الزنادقة كالنجم ابن خلدكان والشمس محمد الباجري وابن العمار البغدادي قال الشيخ علم الدين : وحضر قتله العلماء والاكابر وارباب الدولة وكان يوماً مشهوداً اعز الله فيه الاسلام (١) واذل فيه الزنادقة واهل البدع وقد شهدت مهلكه وكان شيخنا ابن تيمية ايضاً حاضراً يومئذ وقد آتبه وقرعه على ما كان يصدر منه اهـ »

وقال سيف ترجمة السكاكيني مانصه : « محمد ابن ابي بكر بن ابي القاسم الحمداني ثم الدمشقي السكاكيني الشيعي ولد سنة ٦٣٥ بدمشق طلب الحديث وتأدب وسمع وهو شاب ابن اسمعيل العراقي والرشيد بن المسلمة ومحمد بن علام سيف آخرين وتلا بالسبع روى عنه البرزالي والذهبي وآخرون من آخرهم ابو بكر بن المحب وبالأجازة شيخنا برهان الدين التنوخي . وأقعد في صناعة السكاكين عند شيخ رافضي فأفسد عقيدته فاخذ عن جماعة من الامامية وله نظم وقصائد ورد على العفيف التلمساني في الاتحاد وام بقرية جسر بن مدة وام بالمدينة النبوية عند اميرها منصور بن جمار (٢) ولم يحفظ عنه سب في الصحابة بل له نظم في فضائلهم الا انه كان يناظر على القدر وبكر الجبر وعنده تعبد وسعة علم قال ابن تيمية : هو ممن يتسن به الشيعي وبشيع به السني . وقال الذهبي : كان حلواً المجالسة ذكياً عالماً فيه اعتزال وبنطوي على دين واسلام وتعبد سمعنا منه وكان صديقاً لابني وكان بكر الجبر ويناظر على القدر ويقال انه رجع سيف آخر عمره ونسخ صحيح البخاري ووجد بعد موته بمدة سيف ستة خمسين وسبعائة بخط يشبه خطه كتاب يسمى الطرائف في معرفة الطوائف يتضمن الطعن على دين الاسلام واورد فيه احاديث مشككة وتكلم على متونها تكلم عارف لما يقول الا ان واضع الكتاب بدل على زندقه فيه وقال في آخره وكتبه مصنفه عبد الحميد بن داود المصري وشهد جماعة من اهل دمشق انه خطه فاخذ به تقي الدين السبكي عنده وقطعه في الليل وغسله بالماء ونسب اليه عماد الدين ابن كثير الايات التي اولها

ايا معشر الاسلام ذمي دينكم الايات ومات السكاكيني في صفر سنة ٧٢١ « وفي الحاشية وجزم ابن كثير ان الكتاب الدال على الزندقه خطه وقال : ان فيه انتصاراً لليهود واهل الاديان الفاسدة قال وللمات لم يشهد دفنه القاعي شمس الدين بن مسلم ودفن

بسفع قاسيوت وقتل ابنه فيما بعد على قذف أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهما .

وتراجم مثل السكاكيني تؤخذ عن امثال الحافظ الذهبي وكفاه فضلائه مثل الذهبي والبرزالي يعدان من مفاخرهما الاخذ عنه وآثار التعصب والحقيقة لا تخفى على من قرأ العبارة الاخيرة . وقال في ترجمة « علي بن الحسن بن ابي الفضل بن جعفر بن محمد ابن كثير الحلبي الرافضي قدم دمشق واقام بها سنوات فاتفق انه شق الصفوف والناس في صلاة جنازة بالجامع الاموي وهو يعلن بسب من ظلم آل محمد فخره عماد الدين بن كثير وأغرى به العامة وقال ان هذا يسب الصحابة فحملوه الى القاضي نقي الدين السبكي فاعتبر بسب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاعتدوا له مجلساً فحكم نائب المالكي بضرب عنقه تعزيراً وزجراً بعد ان كررت عليه التوبة ثلاثة ايام فاصر فضربت عنقه بسوق الخيل وحرق العوام جسده وذلك في جمادى الاولى سنة سبعائة وخمس وخمسين » .

ومن انعم النظر في تراجم من قتلوا يتضح له انهم كانوا على جانب عظيم من العقل والعلم وان اكثر ما روي عنهم متقول عليهم ليجدوا السبيل الى اقناع العامة والحكام لازهاق ارواحهم

وفي الدرر عدة تراجم من هذا القبيل تدل على الخطاط في ذلك العصر وان الناس كانوا يعمدون للتشنيع ممن يجهلون الى استفتاء القاضي المالكي لان مذهب مالك يقتضي بان يكون التعزير بالقتل او بالحبس والتشهير كما وقع لاحمد بن محمد مري البعلبي الحلبي من اشياخ ابن تيمية فرفعوا امره الى القاضي المالكي بالقاهرة « فضر به ضرباً مبرحاً بحضرته حتى ادماه ثم شهره على حمار اركبه مقلوباً ثم نوذي عليه هذا جزاءه من يتكلم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكادت العامة تقتله ثم اعيد الى السجن »

ومثل ما وقع لاحمد بن محمد البقعي المصري الاديب العالم فضر بواعقه بامر القاضي المالكي بالطبع لانه بدت منه كما قيل امور تنبي^١ با^٢ مستهزي^٣ بامور الديانة وانه منحل مستحل المحرمات

ومثل ما وقع لاحمد بن محمد بن اسمعيل الحلبي الاديب المتصوف فضبطت عليه الفاظ موبقة فرفع امره الى الحاكم مجلب فحكم القاضي المالكي صدر الدين الدميري بسفك دمه فقتل وهو الفائل

اذا نلت المنى بصديق صدق فكان وداده وفق المراد

فخاذرات تعامله بقرض فان القرض مقرض الوداد

ومثله اسمعيل الكردي واحمد الروسي وعثمان الدكالي وفضل الله ابن اليهودي
ومحمد الباجريقي وعلي بن الحسن الرافضي وغيرهم ممن ذهبوا شهداء قضاة المالكية
والمنتعصة من العامة وبعضهم كانوا في مظهر علماء وهم الذين اوصلوا الامة الى هذه
الدرجة من الافكار والتصور .

ومن الغريب انهم كانوا يخوفون حتى من كان على رأيهم من الفقهاء والعلماء فقد
ذكر ابن حجر في ترجمة العلماء ابن العطار ان الشيخ شمس الدين النقيب وغيره تكلم في
فتاوى تصدر من ابي الحسن بن المطار وادعوا ان فيها تضييكا ومخالفة لمذهب القاضي
واجتمعوا عند بعض الحكام فبادر جماعة من محبي الشيخ علماء الدين فقالوا له انهم
هياؤا شهادات يشهدون عليك بها فغارت قوته وبادر الى الخنفي وصدرت عليه دعوى
نحكم باسلامه وحقق دمه وبقاء جهاته عليه !!!

وها نحن اولاء ننقل ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية لانها تصور لك مزبلة هذا
الكتاب وهي خير ترجمة عثرنا عليها بل تصور لك ذلك العصر الذي كثر فيه تعذيب
العلماء قال ابن حجر رحمه الله : « احمد ^(١) بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله
ابن ابي القاسم ابن تيمية الحارثي ثم الدمشقي الحنبلي نقي الدين ابو العباس بن شهاب الدين
ابن محمد الدين ولد سنة ٦٦١ وتحول به ابوه من حران سنة ٦٧ فسمع من ابن ابي عبد
الدائم والقاسم الاربلي والمسلم ابن علان وابن ابي عمر والفخر في آخرين وقرأ بنفسه
ونسخ سنن ابي داود وحصل الاجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وقهر وتميز وتقدم
وصنف ودرس وافق وفاق الاقران وصار عجبا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع
في المنقول والمعقول والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

اول ما اذكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الاول سنة ٦٩٨ قام عليه جماعة من
الفقهاء بسبب الفتوى المحبوبة ^(٢) وبجشوا معه ومنع من الكلام ثم حضر مع القاضي امام

(١) ساعدنا صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي على استخراج بعض مبهعات وقعت

في خط البقاعي والتعليق عليها فنشكر فضله

(٢) المنتبس : طبعت في مصر ضمن الرسائل الثانية والعشرين ومعها رسالة له في

اجوبته عما اعترض به عليه

الدين القزويني فانتصر له وقال هو واخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عذرهناه

ثم طلب ثاني مرة في سنة خمس وسبعائة الى مصر فتعصب عليه يبجرس الجاشنكير وانتصر له سالار^(١) ثم آل امره الى ان حبس في خزانة البنود مدة ثم نقل في صفر سنة تسع الى الاسكندرية ثم أفرج عنه وأعيد الى القاهرة ثم أعيد الى الاسكندرية ثم حضر الناصر من الكرك فاطلقه ووصل الى دمشق في آخر سنة ٧١٢ وكان السبب في هذه الخطة ان مرسوم السلطان ورد على النائب بانتحانه في معتقده لما وقع اليه من امور تنكر في ذلك فعقد له مجلس في سابع رجب فستل عن عقيدته فاملى منها شيئاً ثم احضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقري منها وبحوثا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرروا الصني الهندي يبحث معه ثم أخروه وقدموا الكمال الزملاكاني ثم انفصل الامر على انه أشهد على نفسه انه شافعي المعتقد (كذا) فاشاع اتباعه انه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحداً من اتباع ابن تيمية الى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادية فعزروه وكذا فعل الحنفي باثنين منهم

ثم في ثاني عشرين رجب قرأ المزيّ فضلاً من كتاب افعال العباد^(٢) للبخاري في الجامع فسمعه بعض الشافعية فغضب وقال : نحن المقصودون بهذا ورفعوه الى القاضي الشافعي فامر بحبسه فبلغ ابن تيمية فتوجه الى الحبس فاخرجه بيده فبلغ القاضي فطلع الى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب فاشتط ابن تيمية على القاضي لكون نائبه جلال الدين آذى اصحابه في غيبة النائب فامر النائب من ينادي : ان من تكلم في العقائد فعل به كذا . وقصد بذلك تسكين الفتنة

ثم عقد له مجلس في سلخ رجب وجرى فيه بين ابن الزملاكاني وابن الوكيل مباحثة فقال : ابن الزملاكاني لابن الوكيل ما جرى على الشافعية قليل حتى تكون انت رئيسهم . فظن القاضي نجم الدين ابن صرصبة انه عناه فمزل نفسه وقام فاعاده الامراء وولاه النائب وحكم الحنفي بصحة الولاية وتنفذها المالكي فرجع الى منزله وعلم ان الولاية لم تصح فصمم على العزل فرسم النائب لنوابه بالمباشرة الى ان يرد امر السلطان

(١) سالار كان اكبر نواب الملك الناصر وكان في الدولتين الصالحية والظاهرة

اي اكبر الوزراء . ويقال ان دخله في كل يوم مائة الف درهم

(٢) طبع في الهند في مجموع فيه اربعة كتب

ثم وصل بريدي في اواخر شعبان بعوده ثم وصل بريدي في خامس رمضان يطلب القاضي والشيخ وان ارسلوا بصورة ماجرى للشيخ في سنة ٦٩٨ ثم وصل مملوك النائب واخبر ان الجاشنكير والقاضي المالكي قد فاما في الانكار على الشيخ وان الامر اشد بمصر على الخنابلة حتى صفع بعضهم ثم توجه القاضي والشيخ الى القاهرة ومعهما جماعة فوصلا في العشر الاخير من رمضان وعقد مجلس في ثالث عشره بعد صلاة الجمعة فادعى على ابن تيمية عند المالكي فقال : هذا عدوي ولم يجب عن الدعوى فكرر عليه فامر فحكم المالكي بحبسه فأقيم من المجلس وحبس في برج ثم بلغ المالكي ان الناس تتردد اليه فقال : يجب التضييق عليه ان لم يقتل والا فقد ثبت كفره^(١) فنقلوه ليلة عيد الفطر الى الحب وعاد القاضي الشافعي علي ولايته ونودي بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الخنابلة . فنودي بذلك وقرئ المرسوم قرأه ابن الشهاب محمود سيف الجامع ثم جمعوا الخنابلة من الصاحبة وغيرها واشهدوا على انفسهم انهم على معتقد الامام الشافعي (٢)

(١) في محامكة الاحمدين وما زال النكس ولا سيما الكبراء والعلماء يقتلون في الله تعالى ويصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون واهل الخير في الامم السالفة يقتلون ويحرقون وينشر احمدهم بالنشار وهو ثابت على دينه وقد سم ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسم الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وصب حبيب بن عدي وقتل الحجاج عبد الرحمن ابن ابي ليلى وسعيد بن جبير وغيرها وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربعمائة سوط ثم قتله وسعيد ابن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شات والبس جبة صوف وخيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بالمر الوليد مائة سوط وذلك انه حدث عن النبي صلى الله عليه تعالى عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً اغتدوا عباد الله خولا ومال الله دولاً فكان عمر اذا قيل له ابشر قال : كيف نجيب على الطريق وابو عمرو بن العلاء ضربه بنو امية خمسمائة سوط والامام موسى الكاظم سجنه هرون حتى مات والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد ان ضرب وقيل انه جرع سم والامام مالك بن انس ضربه المنصور ايضاً سبعين سوطاً في يمين المكره وكان يقول لا يلزمه اليقين والامام احمد اتفق وسجن وضرب في ايام بني العباس وللشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة أسوة .

وذكر ولد الشيخ جمال الدين ابن الظاهري في كتاب كشيء لبعض معارفه بدمشق ان جميع من يهصر من القضاة والشيوخ والفقراء والعلماء والعوام يحيطون على ابن تيمية الا الحنفي فانه يتعصب له والا الشافعي فانه ساكت عنه وكانت من اعظم القائلين عليه الشيخ نصر المنيجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن العربي فكاتب اليه كتاباً يعاتبه على ذلك فما اعجبه لكونه بالغ في الخط على ابن العربي وتكفيره فصار هو يحيط على ابن تيمية ويغري به ييهرس الجاشنكير . وكان ييهرس يفرط في محبة نصر وبعظه وفام الفاضل زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية مع الشيخ نصر وبالغ في اذية الحنابلة . واتفق ان قاضي الحنابلة شرف الدين الحراني كان قليل البضاعة في العلم فبادر الى اجابتهم في المعتقد واسلموه خطه بذلك واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري انتصر لابن تيمية وكاتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم وكاتب منه بخطه ثلاثة عشر سطراً من جملتها انه : « منذ ثلثمائة سنة مارأى الناس مثله » فبلغ ذلك ابن مخلوف فسمى في عزل ابن الحريري فعزل وقرر عوضه شمس الدين الاذري ثم لم يلبث الاذري ان عزل في السنة المقبلة وتعصب سلاسل لابن تيمية واحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في اخراجه فانفقوا على انهم يشترطون معه شروطاً وان يرجع عن بعض العقيدة فارسلوا اليه مرات فامتنع من الحضور اليهم واستمر

ولم يزل ابن تيمية في الحب الى ان شفع فيه منها أمير آل فضل فأخرج في ربيع الاول في الثالث والعشرين منه واحضر الى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء وكاتب عليه محضر بانه قال : انا أشعري ثم وجد^(١) خطه بما نصه : الذي اعتقد ان القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديم وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وان قوله الرحمن على العرش استوى ليس على ظاهره ولا اعلم كذا المراد بل لا يعطى الا الله والتول في النزول كالقول في الاستواء وكاتبه احمد بن تيمية

ثم اشهدوا عليه انه تاب مما ينافي ذلك مختاراً وذلك في خامس عشرين ربيع الاول (١) المتفحش : في هذه الوجادة نظر لان ابن تيمية قد ملا الدنيا بفتاويه وهو في محبة التي تخالف مايقوله خصومه كما يعلمه من راجع فتاويه المصرية التي طبع منها ثلاث مجلدات

سنة سبع وسبعائة وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم وسكن الحال وأُفرج عنه وسكن القاهرة

ثم اجتمع جمع من الصوفية عند تاج الدين ابن غطاء فطلعوا في العشر الاوسط من شوال الى القلعة وشكوا ابن تيمية انه يتكلم في حق مشايخ الطريق وانه قال لا يستغاث بالني صلى الله عليه وسلم فانتفضى الحال ان أمر بالمسير الى الشام فتوجه على خيل البريد وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشغول بنفسه بالمرض وقد اشرف على الموت وبلغه سفر ابن تيمية فراسل النائب فرد من بليس وادعى عليه عند ابن جماعة وشهد عليه شرف الدين ابن الصابوني وقيل ابن علاء الدين القونوي ايضاً شهد عليه فاعتقل بسجن حارة الدبلم في ثامن عشر شوال الى سلخ صفر سنة تسع وسبعائة فنقل عنه الى جماعة يترددون اليه وانه يتكلم في نحو ما تقدم فامر بنقله الى الاسكندرية فنقل اليها في سلخ صفر وكان سفره صحبة امير مقدم ولم يمكن احداً من جهته من السفر معه وحبس بمرج شرقي ثم توجه اليه بعض اصحابه فلم يعاونه فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة وكان موضعه فيسجاً فصار الناس يدخلون اليه ويقرؤون عليه ويحشون معه - قرأت ذلك في تاريخ البرزالي فلم يزل الى ان عاد الناصر الى السلطنة فشفع فيه عنده فامر باحضاره فاجتمع به في ١٨ شوال سنة تسع فأكرمه وجمع القضاة واصلاح بينه وبين القاضي المالكي فاشترط المالكي ان لا يعود فقال له السلطان : قد تاب - وسكن بالقاهرة وتردد الناس اليه الى ان توجه صحبة الناصر الى الشام بنية الغزاة في سنة ١٢ وذلك في شوال فوصل دمشق في مستهل ذي القعدة فكانت مدة غيبته عنها اكثر من سبع سنين وتلقاه جمع كثير فرحاً بمقدمه وكانت والدته اذ ذاك في قيد الحياة

ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة ١٩ بسبب مسألة الطلاق واكد عليه المنع من الفتيا ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة عشرين ثم حبس بالقلعة ثم أخرج في عاشوراء سنة احدى وعشرين ثم قاموا عليه مرة اخرى في شعبان سنة ٢٦ بسبب مسألة الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها الى ان مات في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٣٨ قال الصلاح الصفدي : كان كثيراً ما ينشدني :

تموت النفوس باوصالها ولم يدر عوادها ما لها
وما انصفت مهجة تشكي اذاها الى غير احبابها

وكان ينشد كثيراً :

من لم يقدر ويدس في خيشومه رهج الخبيس فلن يعود خميسا
وأشدد له على لسان الفقراء :

والله ما فقرنا اختيار وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى واكلنا ماله عيار
تسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فساد

وسرد اسماء تصانيفه في ثلاثة اوراق كبار واورد فيه من امداح اهل عصره كأن
الزملكاني قبل ان يعرف عنه وكأبي حيان كذلك وغيرهما قال — ورثاه محمود بن علي
الدقوقي ومجبر الدين الخياط وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي وجمال الدين ابن الاثير
وتقي الدين محمد بن سليمان الجعبري وعلاء الدين ابن غاتم وشهاب الدين ابن فضل الله
وزين الدين ابن الوردي وجمع جم واورد لنفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة
قال الذهبي مالم يخلصه : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف
واستدل ورجح وكان يحق له الاجتماع لاجتماع شروطه فيه قال : وما رأيت اسرع
انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولاشد استحضاراً للشئ وعزوها
منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان آية
من آيات الله في التفسير والتوسع فيه واما اصول الدين ومعرفة احوال المخالفين فكان
لا يشق غباره فيه هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس
ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلثائة مجلد بل اكثر وكان قوالاً بالحق لاتأخذه في الله
لومة لائم

قال : ومن خاطبه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني
الى التغالي فيه . وقد أوديت من الفريقين من اصحابه واعداده وكان ايضاً اسود
الرأس والحية قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان . ربعة من
الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتربه حدة لكن
يقهرها بالحلم

قال : ولم ار مثله في ابتهاله واستغاثته بالله وكثرة توجهه وانا لا اعتقد فيه عصمة
بل انا مخالف له في مسائل اصلية وفرعية فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان
ذهنه وتعليل حرمات الدين بشراً من البشر تعتربه حدة في البحث وغضب وشظف
للخصم تزرع له عداوة في النفوس والا لولا لطف خصومه اكان كلمة اجماع كان كيارم

خاضعين لعلوه معترفين بشفوته مقرين بتدور خطائه وأنه بحر لا ساحل له وكفر
لا نظير له ولكن ينتمون عليه اخلاقاً وافعالاً وكل احد يؤخذ من قوله ويترك
قال : وكان يحافظ على الصلاة والصوم معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً لا يفتي من
سوء فهم فان له الذكاء المفرط ولا من قلة علمه فانه بحر زخار ولا كان مثلاً عاكساً بالدين
ولا يفرد بمسائل بالتشهي ولا يمانى لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس
ويبرهن وينظر أسوة من تقدمه من الائمة فله اجر على خطائه واجرات على اصابته
الى ان قال :

تمرض اياماً بالقلمة تمرضاً جدياً الى ان مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة
وصلي عليه بمجامع دمشق وحصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل واقل ما قيل في
عددهم انهم خمسون الفا

قال الشهاب بن فضل الله لما قدم ابن نجيبة على البريد الى القاهرة في سنة سبعائة
تزل عند عمي شرف الدين وحض اهل المملكة على الجهاد وانظت القول للسلطان
والامراء وورثوا له في مدة اقامته في كل يوم ديناراً ومحفقة طعام فلم يقبل من ذلك
وارسل له السلطان بقجة قماش فردها قال ثم حضر عنده شيخنا ابو حيان فقال ما رأيت
عيناى مثل هذا الرجل ثم مدحه بايات ذكر انه نظمها بديهة وانشدده اياها

لما اتانا نقي الدين لاح لنا	داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سبيل الاولى صحبوا	خير البرية نور دونه التمر
حبر تسربل منه دهره جبراً	بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن نجيبة في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم اذ عصت مضر
واظهر الحق اذ آثاره اندرست	واحمد الشراذ طارت له شرر
كما تحدث عن حبر ينجي فيها	انت الامام الذي قد كان ينتظر

قال ثم دار بينهما كلام فجري ذكر سيويه فانظت ابن نجيبة القول في سيويه فناقره
ابو حيان وقطعه بسببه ثم عاد ذاتاً له وصبر ذلك ذنباً لا يغفر قال : وحج ابن الحب سنة
٧٣٤ فسمع من ابي حيان اناشيد فقرأ عليه هذه الايات فقال قد كسبته من ديواني
ولا اذكره نسأله عن السبب فقال : ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيويه
فقال ليس بشيء قال ابو حيان : وهذا لا يستحق الخطاب ويقال ان ابن نجيبة قال له ما كان
سيويه نبي النجوى ولا كان معصوما بل اخطأ في اكثر من اربعين موضعاً ما تفهمها انت

فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره
النهر وراثه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل
من المسالك ان شاء الله تعالى . وراثه زين الدين ابن الوردي بقصيدة لطيفة طائية^(١)
قال كمال الدين السمرري في اماليه : ومن عجائب ما وقع في الحفظ من اهل زماننا ان
ابن نبيمة كان يمر بالكتاب فيطالع مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته
بلفظه ومعناه

(١) اليك قصيدة ابن الوردي نقلا عن ديوانه المطبوع في الجواب

عشا في عرضه قوم سلاط	لم من ثر جواهره الثقات
(نقي الدين احمد) خير خير	خروق العضلات به نحات
توسيف وهو محبوبس فريد	وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألقوا	ملائكة النعيم به احاطوا
قضى نجبا وليس له قريب	ولا كتنظيره الف التماط
فريدا في ندى كف وعلم	وحل المشكلات به بناط
وكان الى التقى يدعو البرايا	وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان يخاف ابليس سطاء	بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ماذا ضم لحد	ويا لله ما غطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كالى	ولكن في اذاه لم نشاط
وحبس الدر في الاصداف نحر	وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بال الهاتمي له اقتداء	فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنو نبيمة كانوا فبانوا	نجوم العلم ادر كها انهاط
ولكن ياندامة حاسديه	فشك الشرك كان به يماط
الم يك فيكم رجل رشيد	يرى سجن الامام فيستشاط
ويا فرح اليهود بما فعلتم	فان الضد يعجبه الخباط
امام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جارك في كب مال	ولم يعمد له بكم اختلاط
فقيم سجنتموه وغظتموه	اما لجزا اذيته اشتراط

وقال الاقشيري في رحلته في حق ابن ابيية : بارع في الفقه والاصلين والفرائض والحساب وفنون أخرى وما من فن الا وا. فيه يد طويل وقلمه ولسانه متقاربان قال الطوفي : سمعت يقول : من سألني مستفيداً حققت له ومن سألني متعتاً ناقضه. فلا يلبث ان ينقطع فاكنى مؤلفته وذكر تصانيفه وقال في كتابه ابطال الحيل : عظيم النفع : وكان يشكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر احد على ان يورده في عدة مجالس كان هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء ويذكر . ومن ثم نسب اصحابه الى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زها على ابناؤه جنسه واستشعر انه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى الى عمر نخطاه في شي فبلغ الشيخ ابراهيم الرقي فانكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر وقال في حق علي : اخطأ في سبعة عشر شيئاً ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها اطول الاجلين . وكان لتعصبه لمذهب الخبالة يقع في الاشاعرة حتى انه سب الفزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه ولما قدم غازان بجيوش التتر الى الشام خرج اليه وكله بكلام قوي فهم بقتله ثم نجوا واشتهر امره من يومئذ

واتفق ان الشيخ نصر المتبحر كان قد تقدم في الدولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فيه فبلغه ان ابن ابيية يقع في ابن العربي لانه كان يعتقد انه مستقيم وان الذي ينسب اليه من الاتحاد والاحاد من قصور فهم من ينكر عليه فارسل بنكر عليه فكتب اليه كتاباً طويلاً ونسبه واصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الاحاد فعظم ذلك عليهم واعاءه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد منكراً (?) وقعت منه في مواعيده

وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي	ففيه لتقدر مثلكم انخطاط
اما والله لولا كنتم سري	وخوف الشر لانحل الرباط
وكنتم اقول ما عندي ولكن	باهل العلم ما حسن اشتطاط
فما احدث الى الانصاف بدعو	وكل في هواه له اغتراف
سيظهر قصدم باحسانه	ونيشكم اذا نصب الصراط
فما هو مات عنكم واسترحتم	فماطوا ما اردتم ان تعاطوا
وحلوا واعتقدوا من غير رد	عليكم وانطوى ذلك البساط

وفتاويه فذكروا انه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر^(١) درجتين فقال : كنزولي هذا .
 قسب الى التجسيم ورده على من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم او استغاث فأشخص
 من دمشق في رمضان سنة خمس (بعد السبعائة) فخرى عليه ماجرى وحبس مراراً فاقام
 على ذلك نحو أربع سنين او أكثر وهو مع ذلك يشتغل وبغني الى ان اتفق ان الشيخ
 نصراً قام على الشيخ كريم الدين الايلي شيخ خانقاه سعيد السعداء فأخرجه من خانقاه وعلى
 شمس الدين الحريري فأخرجه من تدريس الشرفية فيقال ان الايلي دخل الخلوة
 بمصر أربعين يوماً فلم يخرج حتى زالت دولة بيبرس وخمل ذكره وتصروا بطلق ابن ليمية
 الى الشام

واقترق الناس فيه شيعاً فمنهم من نسب الى التجسيم لما ذكر في المتقدمة الحموية والواسطية
 وغيرهما من ذلك كقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وأنه مستوي
 على العرش بذاته فقليل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لا اسلم ان التحيز
 والانقسام من خواص الاجسام فالزم بانه يقول ثبت (٢) التحيز في ذات الله تعالى

ومنهم من ينسبه الى الزلذقة لقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يستعاض به وان في
 ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس عليه في
 ذلك النور البكري فإنه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين : يعزز
 فقال البكري لا معنى لهذا القول فإنه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعزز

ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي ما تقدم ولقوا انه كان مخذولاً حيث
 مانوجه وانه حاول الخلافة مراراً فلم يلقها وانما قاتل للرياسة لا للدبابة ولقوله انه كان
 يجب الرياسة^(٣) وان عثمان كان يحب المال ولقوله ابو بكر اسلم شيئاً لا يدري ما يقول
 وعلي اسلم صبياً والصبي لا يصح اسلامه على قول ولكلامه في قصة خطبة ابنه ابي جهل
 وما فيها من الثناء على . . . وقصة ابي العاص بن الربيع وما يوجد من مفهومها فإنه
 مشنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم ولا يغضك الا منافق

ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فإنه كان يلجج بذلك ابن نومرت ويطريه
 فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة وكان اذا حوَّق واُزِم يقول لم ارد
 هذا انما اردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً قال : وكان من اذكياء العالم وله في ذلك امور

(١) هو محل التدريس لا منبر الخطابة المعروف في المساجد اليوم

(٢) في كتابه منهاج السنة ما يكذب هذه الفرية على شيخ الاسلام

عظيمة منها ان محمد بن ابي بكر السكاكيني عمل اياتاً على لسان ذي في انكار القدر واولها:
 ايا علماء الدين ذي دينكم تحب دلوه باعظم حجة
 اذا ما قضى ربي بكفري بزمكم ولم يرضه مني فواجه جيلتي
 فوقف عليها ابن تيمية فثنى احدى رجليه على الاخرى واجاب في مجلسه قبل ان
 يقوم بمائة وتسعة عشر بيتاً اولها

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية^(١)

وقال شيخ شيوخنا الحافظ ابن سيد الناس في ترجمة ابن تيمية وهو الذي
 حدا في على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين قال : فالفقيه من ادرك من العلوم
 حظاً ، وكان يستوعب السنة والآثار حفظاً ان تكلم في التفسير فهو حامل راية ، وانتي
 في الفقه فهو مدرك غايته او ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وروايته ، او حاضر
 بالملل والتحل لم ير اوسع من نحلته في ذلك ولا ارفع من درايته ، برز في كل فن على
 ابناء جنسه ، فلم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه . كان يتكلم في التفسير ،
 فيحضر مجلسه الجلم الفقير ، ويردون من بحره العذب النهر ، ويرتعون من ريع فضله في روضة
 وغدير ، الى ان دب اليه من اهل بلده داء الحسد والب اهل النظر منهم على ما ينتقد عليهم من
 امور المعتقد ، فحفظوا عنه في ذلك كلاماً ، اوسعوه بسببه ملاماً ، وفوقوا لتبديدهم سهاماً ، وزعموا انه
 خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازعه طائفة
 اخرى ينسبون من الفقر الى طريقتهم ، ويزعمون انهم على ادق باطن منها واجل حقيقة ،
 وكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مراغم وموابق ، فاضت الى الطائفة الاولى من منازعته ،
 واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعته ، فارصلوا الى الامراء امره ، واعمل كل منهم
 في كفره فكره ، فرتبوا المحاضر ، وألبوا الرويضة (؟) للسمي بها عند الاكابر وسعوا
 في نقله الى حاضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، وادع السجدة ساعة حضوره
 واعتقل ، وعقدوا لاراقه دمه بجالس ، وحشدوا لذلك قوماً من عمار الزوايا وسكان
 المدارس ، من عامل في المنازعة ، مخال بالمخادعة ومجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة ،
 يسومونه رب المتنون ، ورك بك بعلم ما تكن صدورهم وما يعنون ، وليس المجاهر بكفره
 بأسواً حالاً من المجامل وقد دبت اليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل في نحره ، ونجاه

(١) شرح نجم الدين الطوفي جواب شيخ الاسلام في نحو كراسين شرحاً لطيفاً وهو

موجود في بعض مكاتب دمشق

على يد من اصطفاه الله غالب على امره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينقل طول عمره من محنة الى محنة ، الى ان فرض امره الى بعض القضاة فتقلد ماتقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك الى حيث ذهبه الى رحمة الله تعالى وانتقاله الى الله ترجع الامور ، وهو المطلع على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وكان يومه شهوداً ضاقت بجزائره الطريق ، واتابها المسلمون من كل فج عميق ، يتركون بمشهده يوم تقوم الاشهاد ، ويتمسكون بسريره حتى كسروا تلك الاعواد .

وقال الذهبي مترجماً له في بعض الاجازات : نراً القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في العلم والتفسير وافنى ودرس وهو دون العشرين وحسن التصنيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وتصانيفه نحو اربعة آلاف كراسة واكثر .

وقال في موضع آخر واما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير وفي موضع آخر وله باع طويل في معرفة احوال السلف وقل ان تذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ولما كان معتقلاً بالاسكندرية التمس منه صاحب سبنة ان يجهز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة اوراق باسائده ومن حفظه بحيث يعجز ان يعمل بعضه اكبر من يكون واقام عدة سنين لا يفتي بمذهب معين .

وقال في موضع آخر : بصيراً بطريفة السلف واحتج له بادلته وامور لم يسبق اليها واطلق عبارات اجم عنها غيره حتى قام عليه خلق من العلماء بالمصريين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لا يدهن ولا يجاني بل يقول الحق اذا اداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته فخرى يدينهم حملات جزئية ووقعات شامية ومصرية ورموه عن قوس واحدة ثم نجاه الله سبحانه وتعالى وكان دائم الاشتغال كثير الاستغاثه قوي التوكل رابط الجأش له اوراد واذكار يدمنها

وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فاجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره في نفسي اكثر من ذلك

واجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض
سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الاولى وغرامة مثله في هذا
الزمان بل من ازمان

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين خليل العلاني في ثبت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء
الدين عبدالله محمد بن خليل مانصه : وسمع بهاء الدين المذكور على الشينين شيخنا
وسيدنا وامامنا فيما بيننا وبين الله تعالى شيخ التحقيق السالك عمن اتبعه احسن طريق
ذي الفضائل المتكاثرة والحجج الباهرة التي اقرت الامم كافة ان همها عن حصرة قاصرة
منعنا الله بعلمه الفاخرة ونفعنا به في الدنيا والآخرة وهو الشيخ الامام العالم الرباني
والعبر البحر القطب النوراني امام الائمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر
المجتهدين اوجد علماء الدين شيخ الاسلام حجة الاعلام تقي الدين . . . سيف المناظرين
بحر العلوم كنز المستفيدين ترجمان القرآن أعجوبة الزمان فريد العصر والاولان . . .
حجة الله على العالمين اللاحق بالصلحين والشبه للماضين مفتي الفرق ناصر الحق علامة
الهدى عمدة الحفاظ ركن الشريعة كنز المعاني والالفاظ ذي القنون البديعة ابي العباس
ابن تيمية اهـ»

هذه ترجمة نابغة الاسلام واعجوب علماء القرون الوسطى ولو لم يكن في هذا الكتاب
سوى ترجمته لكان كافياً في طبعه والكتاب نسخة نفيسة نادرة في بابها لان ناسخه عالم
محقق وبعناد الانسان قراءة خطه على اعجاز بهاء قراءة بضع صفحات منه وقد طمست
بعض سطوره من اوائل بعض الصفحات لما او رطوبة اصابته ولكن يسهل اثبات
الصحة ولو بمراجعة بعض المظان المطبوعة وغيرها

والكتاب كما تقدم بخط البرهان البقاعي المفسر قال في آخره : قال شيخنا شيخ الاسلام
والحفاظ مضافه ومن خطه نقلت النسخة التي نقلت منها هذه فرغ منه جامعه سوى
ما الحق فيه بعد تاريخ فراغه في شهر سنة ثلاثين وثمان مائة ثم الحق فيه الى
سنة سبع وثلاثين ولم يكمل الغرض من الالحاق لبقايا من التراجم في زوايا لم استوعبها
بعد اعان الله تعالى على استكمال ذلك عنه وكرمه آمين . قلت (البقاعي) وكانت
كتابتي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر علي قراءة كثير من النظم
الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله تعالى تحرير

ذلك ومقابلته جميعه على الاصل المنقول منه ان تيسر او يحرج ذلك من اصوله ان شاء الله تعالى وكانت فراغي من هذه سنة ١٢ شوال سنة ٨٥٩ بمزلي بحارة بهاء الدين في القاهرة اهـ

اما ابن حجر العسقلاني فهو شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر نسبة الى حجر قوم تسكن الجنوب العسقلاني الاصل المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة وله سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وتوفي سنة ثمانمائة واثنين وخمسين والمؤلف هذا معدود من ائمة الشافعية وله غير ذلك من الكتب منها تاريخ مرتب على السنين ^(١) سماه انباء الغمر في ابناء العمر وفي المكتبة الظاهرية مسودته بخط مؤلفه وهي لا تكاد تقرأ لما فيها من سقم الحروف والشطب والتعليق قال في مقدمته : وبعد فيقول العبد الضعيف احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن حجر العسقلاني الاصل المصري المولد القاهري الفار هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان منذ مولدي سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة وهم جرا مفصلا في كل سنة احوال الدول ووفيات الاعيان مستوعبا لرواة الحديث خصوصا من لقيته او اجاز لي الى ان قال وسميته انباء الغمر بابناء العمر

وهاك نموذجاً من تأليفه : سنة سبع وسبعين وسبع مائة : فيها في المحرم طهر السلطان اولاده وعمل لهم « ميا » عظيما اتفق فيه من الاموال ما لا يحصى وظهرت فيه من الفواخش والقبائح ما لا مزيد عليه واستمر ذلك سبعة ايام . سنة اربع وسبعين وسبع مائة : وفيها كان الربا بدمشق فدام مدة تسعة اشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر . سنة اربع وتسعين وسبع مائة : هجم على النائب بدمشق خمس انفس فقتلوه واخرجوا من الحبس من الميكاسه (?) ومع نحو مائة نفر وملكوا القلعة لحاجبهم الحاجب في عسكر دمشق وضيق عليهم الى ان غلبوا فاحرق عليهم الباب وامسكوا الثاثرين فلم يبقوا منهم الا من هرب

وقال في اول الجزء الثاني وهو يتندي^١ باول القرن التاسع من الهجرة مانصه : دخلت سنة احدى وثمان مائة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الظاهر ابو سعيد بروق وسلطان الروم ابو يزيد بن عثمان وسلطان الين من نواحي تهامة الملك الاشرف

ومن نواحي الجبال الامام الزيدي الحسني وسليمان المغرب الادنى ابو فارس عبدالعزيز الحفصي وسليمان المغرب الاوسط المربني وسليمان المغرب الادنى ابن الاحمر وصاحب البلاد الشرقية ثيمور وكان المعروف بالملك وصاحب بغداد احمد بن ادريس وامير مكة حسن بن مجلان والخليفة العباسي ابو عبدالله محمد المتوكل على الله وبدعى امير المؤمنين وينازعه بهذا الاسم الامام الزيدي وبعض ملوك المغرب وصاحب اليمن .

وقد امتد الكتاب الى ستة خمسين وثلاثمائة وبديء به سنة ثلاث ومبشرين وسبعمائة وقد ذكر صاحب كشف الظنون اذ يالا لانباء الغمر فمن انا بان نظفر بالاصل والفرع ويطبع كما يطبع الدرر الكامنة

واما ناسخ الكتاب فهو البرهان البقاعي صاحب المناسبات ترجم له الضوء اللامع ترجمة مطولة وكلها مطاعن لانهما تدارسا العلم في سن الطلب واستفاد كل منهما من الآخر حتى زادة الطائفة فما قاله فيه انه ابراهيم بن عمر البقاعي برهان الدين وكفى نقسه ابا الحسن الخرباوي البقاعي صاحب تلك العجائب والنوائب والقلائل والمسائل المتعارضة المتناقضة ولد فيما زعم تقريبا سنة تسع وثمانمائة بقرية يقال لها خربة روحا من عمل البقاع ونشأ بها ثم تحول الى دمشق ثم فارقها ودخل بيت المقدس ثم القاهرة قال ووقائعه كثيرة واحواله شهيرة ودعاويه مستفيضة اهلكه التيه والعجب وحب الشرف والسمعة بحيث زعم انه قيم العصر بين بكتاب الله وسنة رسوله الى غير ذلك من المطاعن التي وجهها اليه وظهرت فيها نواجذ الشر والعداوة على انه من اهل العلم المذكورين في عصره والمعدودين من محاسن دهره ولو لم يكن له الا تفسيره سيف تناسب الآيات والسور الذي لم يؤلف في الاسلام مثله لكفاه فضلا ورحل في آخر امره الى دمشق واتخذها موطنه وتوفي في رجب سنة ٨٨٥ ودفن في مقبرة الحمزية ضاهر الشويكة في دمشق الشام ويوجد في المكتبة الظاهرية من تفسيره اثنيون . نستختار عورضت احداها على مؤلفها وبها خطه رحمه الله



المسلمون والبولونيون

في الغرب من مملكة روسيا وفي الجنوب من بروسيا وفي الشمال من النمسا بلاد متناحية الاطراف واسعة البقاع محصنة الرباع كثيرة الانهار والغابات والمناجم اسمها بولونيا اي السهل باللغة الصقلية وهي المعروفة في تواريخ الانراك باسم « هستان » قضى عليها نكد الطالع ان تفقد استقلالها لاختلاف كلمة امراثا وابناثا منذ نحو قرن ونصف فتقسمتها روسيا والنمسا والمانيا وتبلغ مساحة بولونيا الروسية وفيها عاصمة البلاد القديمة « فارسوفيا » ١٢٧٠٣١٩ كيلومتراً مربعاً وسكانها ٩٦٤٥٦٠٠٠ واذا اضفنا اليهم سكان بولونيا النمساوية وبولونيا الالمانية يبلغ عددهم نحو عشرين مليوناً بحسب تقدير الجغرافيات الحديثة من اهل اوربا يدين نحو نصفهم بالكشككة وباقيهم اسرايليون وبرتشتان ومسلمون تاتار

ومناخ هذه البلاد شديد ولكنه معتدل في الجملة اذا قيس بمناخ روسيا وهو حار في الصيف بارد جداً في الشتاء ونقل فيها الثلوج وتجمد الانهار في الشتاء من شهرين ونصف الى ثلاثة اشهر ونصف وقد انتشرت فيها الصناعات لكثرة ما فيها من الفحم الحجري فاصبحت اهم اقاليم روسيا من هذه الوجهة اما التجارة فتكاد تكون محصورة في ابدي الاسرايليين

وتاريخ هذه الامة القديم غامض اشبه بأساطير حتى القرن التاسع لميلاد وغاية ما يعلم ان هذه الاقطار الممتدة بين البحر الاسود وبحر البلطيق كان يسكنها في الاصل شعوب اسمها الاتس والمنت والفاند ثم زلها الصقالبة . واول زعيم انشأ مملكة بولونيا فلاح صالح اسمه يياست فتحكمها الى سنة ١٣٣٣ ودخلت النصرانية الى بولونيا على يد ميخائيل الاول (٩٦٢-٩٩٢) وانضمت بلاد ليتوانيا الى بولونيا في القرن الرابع عشر بزواج هدويج ابنة كازمير الاول (١٣٣٣-١٣٧٠) من لاديسلاس جاجلون

وفي اوائل القرن الخامس عشر اي وفي العهد الذي بدأت تنشأ فيه اوربا ممالك مطلقة الحكم مبتدئة السلطان بدأ الفشل السياسي والفوضى الادارية تدب في مملكة بولونيا مما عجل تقسيمها وحذفها من رقعة السياسة الاوربية وذلك لاختلاف مصالح البلادين ليتوانيا وبولونيا واختلاف لسانيهما فكانت مجالس النواب في الولايات متباينة

المقاصد تعاكس الملك في اقل الامور حتى في عزل الموظفين الذين كانوا يعينون بلا عزل مدة حياتهم وقل صاحب رأي في الانتخاب يوقف عمل الاكثرية ويفسد عليها امرها حتى انقلبت الحال بعد ان كتب النصر لبولونيا على الهوسيين وفرسان حملة السيوف ان تبقى بلا حكومة ولا جيش ماعلا ايام أسرة جاجلون

قد بدأ انحطاط بولونيا على عهد سيجموند فازا سنة ١٦١٨ فاصيحت المملكة بدون مالية ولايت ملك وطني بل كان ينتقل الملك من فرنسويي يعينه مجلس النواب الى يجري هذا وليس للبلاد حدود طبيعية تحميها من هجمات المهاجمين

ثم عادت الى البلاد بعض حياتها على عهد يوحنا سويسكي (١٦٧٤ - ١٦٩٥) فاصبح لها بعض مجد بجيش لما نظمته فالجيش البولوني انتقدت «فيتا» من ايدي العثمانيين الذين حاصروها ولكن لم تعد نجدة البولونيين للتمساوين بشيء من الفائدة عليهم ولا على حكومتهم . وخلف المنتخب فريدريك اغطس في ساكس ملكها سويسكي فاستند الى امارته سكسونيا فاستقام . امر بولونيا ثم خلع وتدخلت روسيا في امره ثم نشأ خصام بين بيوت الملك في بولونيا يدعي كل منهم حق التملك على البلاد وفي سنة ١٧٦٤ قضت ارادة كاتربنا الثانية صاحبة روسيا بتأييد ساتيسلاس بونيا نوفسكي على عرش السلطنة البولونية وفي وسط ذلك الاضطراب كثرت الانقسامات الداخلية وجاءت الفتن الدينية التي كانت هادئة عفاك فانضمت الى المناقشات السياسية وذلك بما تخلل الامر من عبث الاصابع الاجنبية فاستصرخ الاروام كاتربنا الثانية ^(١) امبراطورة روسيا واستنجد البرتشتات ماري تريز ملكة النمسا وفريدريك الثاني . وكان لروسيا نفوذ في مجلس نواب سنة ١٧٦٦ نسعت الى اطلاق حرية المذهب والفت حرية الانتخاب فاستقام امر الحكومة وكان الاضطراب على اتمه عندما أُلِف سنة ١٧٦٨ اتحاد بار يضم احترام الاستقلال الوطني ولكن كان قد سبق السيف العنذل فتقرر بين روسيا والنمسا سنة ١٧٧٢ تقسيم بولونيا ولم يقاوم في ذلك من الدول سوى الدولة العلية فتقسمت النمسا والمانيا وروسيا تلك المملكة العظمى وفي سنة ١٧٩٥ قسمت البلاد نهائيا فوقع العاصمة اي فارسوفيا من حصه روسيا وكرا كوفيا وفيها كلية بولونيا العظمى من حظ النمسا ونالت بروسيا بقية المملكة ثم نظم جزءا منها مملكة جديدة ولكنها انتقضت وثار سنة ١٨٣٠ فدخل الروس الى فارسوفيا بعد ان ابلى البولونيون بلاءا حسنا فانخلت مملكة فارسوفيا

واقفلت كلية فيلنا البولونية وصادرت الاموال ونفت الرجال فاصبحت بولونيا ولاية روسية وقام البولونيون سنة ١٨٦٣ ثانية وحملهم على الانتفاض ما رأوه من اشتغال روسيا في حرب الشرق فألف البولونيون منهم عسكرياً لا يبق ولا يذر وبالنظر لقلة عدده تمكنت روسيا من قمع جماح الفتنة بعد سنة من نشوبها وما فتئ منذ ذلك العهد حال بولونيا في الولايات الروسية آيلاً الى نزع لغتها وإبدالها باللغة الروسية وتدريب أهلها على المناحي الروسية وكذلك حال ولايات بروسيا آخذ بالصيغة الالمانية الجرمانية

هذا اجمال من تاريخ انقسام مملكة بولونيا اما حالتها الادبية والعمرانية فان لغتها من فروع اللغات السلافية الغربية وغريبة جداً من اللغة الكاسربية واللغة البولابية . وفي بولونيا عدة لهجات وقد نشأ من كلية كراكوفيا التي انشأها كازمير الاكبر عدة رجال في الفلسفة والعلم منهم كوبرنيك الفلكي ونجحت اللغة البولونية على عهد ملوكها من أسرة جاجلون وذلك بفضل دعاة المذهب البرتستانتي الذين اختاروا نشر تعاليمهم بلغة الشعب وعلى عهد يوحنا كوشانوفسكي سلم ذوق اللغة وتألفت على القواعد العلمية المألوفة لليونان والرومان ودام ذلك الى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وها قرنا الانحطاط لان القوم شغلوا بالفتن الداخلية فلم يعد احد ينظر في الادب وداهمت اللغة مفردات من اللغات الاجنبية .

وقد نشأ للآداب البولونية شعراء وكتاب كبار ومؤلفين ووعاظ واثريون ومؤرخون وجغرافيون وقصصيون ودخل الشعر البولوني على عهد ثورة سنة ١٨٣٠ في طور جديد واثرت في عقول الناهضين من شبانهم احوال الفن وانطلقت السنهم بالشعر المزوج بعواطف النفوس المتألمة ودامت طليقة الشعر في ارفاء الى اواخر القرن التاسع عشر بما نشأ لهم من الشعراء بل والشاعرات المجيدات الذين حركوا كوامن النفوس وهياؤها لمطلب الكمال والاستقلال وساعد القصصيون خاصة بما نشره من الاساطير والروايات على ترقية اللغة البولونية وادخال حياة جديدة فيها في العهد الاخير

دع عنك من خرج من هذه الامة من الفلاسفة والمؤرخين وان ما بقي من الآثار القليلة والعاديات في تلك البلاد ليدل دلالة واضحة على ان قدماء الصقالبة كانوا يحبون الصناعات والفنون وكذلك كانت الحال في القرون الوسطى في بولونيا فان ملوكها حموا حمى الصنائع النفيسة فكانوا يأتون من ايطاليا البنائين والنقاشين والمصورين حتى جارهم البولونيون ونافسوهم في هذه الاعمال بعد .

ولكن الفتن التي استطار شرارها في القرنين الأخيرين سلب من نفوس البولونيين قرارها فهايموا على وجوههم بعد فقد استقلالهم في طول اوربا واميركا وعرضها وكثر منهم المهاجرون ولاسيا الى اميركا الشمالية حتى قيل انهم بلغوا نحو مليوني بولوني يحافظون الى اليوم على لغتهم وآدابهم وعاداتهم القومية

وللبولونيين غرام فائق في احتفاظهم بلغتهم وتناغمهم بتاريخهم قترام كما طالب المطال على تمزق ملكهم يحنون لاسترجاعه وثقوى عزائمهم على المطالبة به ولكن اوربا او الساسة من اهلها قد قدت قلوبهم من حجر فلا تسمع لباك ولا ترحم كل شاك. على ان البولونيين لم يعتمدوا بعد التجارب الكثيرة الا على انفسهم فكانوا ومازوا يستعدون في بلادهم وخارجها للتربية الحرة حتى لا تزول منهم ملكة الكر والفر وقد انشأوا لغرض الاستقلال جمعيات بشوا دعائها في بلادهم وفي اوربا واميركا يجمعون المال الى ايام الشدة وهذا المال يحفظونه في الغالب في فروع جمعياتهم في سويسرا وقد صرفوها كلها في الفتن الاخيرة التي ثارت في بولونيا الروسية عقيب حرب روسيا مع اليابان فكانت تأتينا اخبار فارسوفيا بنفطاع البولونيين وشدة حكومة روسيا في قطع دابر الفتنة. وفي سويسرا ايضا حفظ البولونيون تاج آخر ملوكهم وصولجائه ونموذجا من البستهم جعلوها في متحف خاص

ولما انتشرت الحرية بعض الشيء في روسيا تنفس خناق البولونيين وقاموا يعيدون ايجاد آدابهم بمدارسهم ولم تنل روسيا مأربا من نزع لغتهم وتلقينهم لغتها بالقوة بل عادت اللغة البولونية اكثر انتشارا مما كانت قبل انقسام بلادهم ومن الغريب ان التشت الذي اصاب اهلها والسعي الحثيث في معاملة مدارسها بالشدة في المانيا وروسيا لم تسفر الا عن اندماج كثير من اليهود والجرمانيين في الجنسية البولونية لان البولونيين من اقدر الامم على جلب غيرهم اليهم كأن من خواص شعبيهم ان يأخذ ولا يعطي

كانت النمسا ومازالت ارفق الدول الثلاث الكبرى التي تقاسمت بينها بولونيا بهذه الامة ولغتها وآدابها وعاداتها ولذلك كان خلاص البولونيين لها اكثر من اخلاصهم للامان والروس لانها ساوتهم بسائر عنائهم فلم يستغلوا ظلها ولا تبرموا بادارتها.

ولكثرة اندماج الالمانيين والامرياليين بالبولونيين من حيث يشعرون ولا يشعرون زادت نفوس فارسوفيا زيادة هائلة حتى بلغت الآن ثمانمائة الف وكانت اقل من خمسين الفا ايام التقسيم وعدت من عواصم بلاد اوربا وبالنظر لخصب البلاد وعراقتها سيف

الصناعات والتجارات ونشاط أهلها أكثر من سائر العناصر السلافية بلغت مداخيل
المصنوعات البولونية ٤٢٠ مليون روبل وكانت أقل من ثلاثين وبلغت قيمة الثروة العامة
في بولونيا الألمانية نحو ألف وثلاثمائة مليون مارك وكانت نحو أربعمائة مليون

وهكذا تجد تجاراتها واسعة باتساع غاباتها ومناجمها وخصب تربتها واقتصاد أهلها
على الصناعة والتقليد حتى حاكوا أعرق الأمم الغربية في الحضارة وبكفي إن كوري
مخترع الراديو هو وعقيلته من أهل بولونيا وإن في أهل أوربا كثيرين ممن تعرفهم الآن
فرنسيين أو ألمانيين أو نموسيين أو إنكليزيين وهم في الحقيقة بولونيون لغة ومثلاً *

وبعد فيجد وقد اتصل بنا نفس الكلام في هذا البحث إلى هذا الحد إن نلم بطرف
من تاريخ هذه الأمة وعلاقتها بالمسلمين ولا سيما بدولة آل عثمان فقد بدأت الصلات المهمة
بين بولونيا والأمم الإسلامية ^(١) على عهد لاديسلاس جاجلون والسلطان مراد العثماني
وحاكم بلاد المجر على ذلك العهد يوحنا هونياد وهو تابع لبولونيا وكانت تحدث مشاكل
على الدوام بين جيشه وجيش السلطان وبعد حروب وقتن كتب فيها النصر تارة للعثمانيين
وأخرى للمجر بين شتمت نفوس الطرفين القتال فطلب السلطان مراد التوسط بالصلح
إلى صاحب بولونيا فوقع على صكه في ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤) لمدة
عشر سنين على أن يعيد السلطان بلاد الصرب إلى ملكها وإن تضم بلاد الفلاح إلى
المجر وبفتدي السلطان صهره محمد جلبي الذي أمر في وقعة كونويبرا بسبعين ألف دوكا
(٨٠٥٠٠٠ فرنك)

وإذا صادف أن السلطان مراد تنازل عن عرش الملك لابنه محمد طمعت أوربا في
السلطنة ورأت أن الفرصة مناسبة للتدخل منها وعلى عرشها فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة
من عمره فطلب إلى صاحب بولونيا أن يشارك الدول في تحالفهم على العثمانية فأبى للعهد
الذي عقده قبل مع سلطان العثمانيين فأرسل إليه البابا أوجين الرابع يصرح بأنه
لا خشية في بعض الأحوال من الحث بالأتين ومثل له بنفسه إذ أنه جهز ثمانية سفن
على ثقته وسمى نفسه رئيس العصبة فاضطر صاحب بولونيا أن يسير على الخط الذي رسمها

(١) كتاب بولونيا والإسلام لصدیقنا سريف الدين أفندي كاششوت البولوني
Thadée Gaxtowski. La Pologne et l'Islam.
Paris Société Française d'Imprimerie et de Li-
brairie 15 Rue de Cluny, 1907

امام الاحبار فانفذ بعوثه الى اقليم تراسيا واشتبك القتال بين المجريين والبولونيين والفلاحيين من جهة والعثمانيين من اخرى ونزل السلطان مراد بنفسه الى ساحة الوغى بدل ابنه الذي خلفه فقتل احد شيوخ المسكر العثماني واسمه خوجه خير ملك بولونيا فذهب الفشل في الجيش المنحزب كله وذلك في رجب سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤)

قال المؤرخ ليونارد شودزوكو: « قال السلطان مراد بينما هو يطوف ساحة الوغى مع امين سره ازيب بك لما رأى صرعى الحرب من اعداء: اليس من الغريب ان يكون كل هذا الجيش مؤلفاً من شبان وايس فيه شيخ واحد فاجابه ازيب بك: لو كان فيه شيخ واحد لما اتى بنفسه في مثل هذه الورطة المجنونة » وقد فقد جيوش المحاربين في تلك الوقعة اشياء ثمينة ومنها سبجلات ملك بولونيا فقدت مع ما فقدت عند مصرعه وهي خسارة كبرى .

وفي سنة ١٤٤٧ كان التاتار في بلاد القريم في حروب دائمة فاجمع رأيهم على ان يحكموا كازمير جاجلون ملك بولونيا ودوق ليتوانيا فيما شجر بينهم فنزل بعض المتكويين من التاتار في بلاد ليتوانيا على الرحب والسعة واعطاهم صاحب بولونيا اراضي يتوفرون على زراعتها واخلصوا له ودافعوا في مواقف القتال عن حوزة بلاده واطلق لهم حربتهم الدينية حتى استمال بذلك قلوبهم وجاء الملك لاديسلاس الرابع وايد امتيازاتهم فأتشأوا لم جوامع ومنتارات وبعد ان كانوا بادية رحالة اصبحوا مزارعين ساكنين وادعين وفي سنة ١٤٩٤ جمع يوحنا البر ملك بولونيا بعض امراء النصرانية في جواره وتحالفوا على قتال العثمانيين فساق السلطان بايزيد جيشاً مؤلفاً من اربعين الف جندي اجتازوا نهر الطونة وانضموا الى الفلاحيين وهجموا سنة ١٨٩٤ على بلاد بولونيا وكان صدر الامر السلطاني الى والي سيلسترا ان يهاجم البولونيين ففتح العثمانيون البلاد على ايسر وجه لانبساط سهولها واستولوا على بعض مواقعها في وقتين ظفروا فيهما ولكن دام الجيش العثماني يرد فارس وثلج واعاصير فهلك منه اربعون الفا ولم يسل سوى عشرة آلاف جندي عادوا ادراجهم يجتازون نهر الطونة

واذ تحالف ملك بولونيا مع ملك المجر وملك ليتوانيا اضطر السلطان بايزيد ان يبعث الى كراكوتيا سفراً لعقد الصلح . وفي سنة ١٥٢١ ارسل السلطان سليمان الاول الى بلاد المجر سفيراً لم يجبه المجرىون الا بخنق سفيره فساق السلطان على المجر قوة من جيشه غلب بها المجر وان امدتهم صاحب بولونيا بستة آلاف جندي لكن قوة الدولة العلية كانت

اعظم وعاد السلطان سليمان في ربيع سنة ١٥٢٦ ايضا في قوة من رجاله تكى بلاد المجر فامد صاحبها ملك بولونيا ولكن قوة الدولة العثمانية تغلبت فكتبت النصر لاعلامها وهلك في المعركة لويز الثاني ملك المجر في خمسة وعشرين الفا من رجاله

ثم صار سليمان الى جهات المجر وارجع البلاد الى ملكها الشرعي وانقلبت الحال فتحالف سلطان العثمانيين مع ملكي بولونيا وفرنسا وتزوج السلطان سليمان بروكسلان من سبايا البولونيات فشغفته حباً واتخذها سلطانة شرعية وسماها خرمًا وكانت على غاية من الجمال والادب والذكاء ولكنها صرفت ذكاءها الى الحب فكانت القاضية على السلطان ان يعامل ابنه معاملة بربرية شهدت لها توارىخ العثمانيين فقتله بدصاصها

وسيف سنة ١٥٧٢ اعانت بولونيا الدولة العلية عند مآتداحات هذه لافرار الامن في نصابه في اقليم مولادافيا وسعت الدولة العلية كل السعي ان يبقى التحالف مستحكما بينها وبين فرنسا وبولونيا لدفع عوادي النمسا ولكن حكم بولونيا ملوك لم يعدوا لهذا الامر عدته . وفي سنة ١٥٧٦ تحالف السلطان مراد الثالث مع اتين باتوري امير ترانسلفانيا وملك بولونيا وجددت هذه المعاهدة سنة ١٦١٩

ولكن امير ترانسلفانيا واسمه بتم كايور كان يطمع في الاستيلاء على المجر فحرض العثمانيين والتاتار على البولونيين فوقعت بين صاحبي بولونيا والعثمانية وقعة اخرى سنة ١٦٢٠ كسر فيها البولونيون وفي سنة ١٦٢١ قام السلطان عثمان الثاني في مئة الف من جنده قاصداً الى بولونيا فدحر جيشه ولما رأى انه فقد منه شئون الفاضل اضطر يوم ٢٣ ذي القعدة ١٠٣٠ الى عقد صلح صدق عليه سيف الاستانة سنة ١٦٢٣ سفير بولونيا

ثم ان روسيا اهابت خاطر السلطان مراد الرابع على بولونيا ولكن حكمة صاحب بولونيا قضت بحقق الدماء وان كان ازمع السلطان العثماني ان يملأ بجيوشه السهل والوعر في بولونيا لكن السفير البولوني تطف في السفارة واغضى عما سمع من السلطان من ارادة هذا ان تدين بولونيا بالاسلام وتترك حصونها وتؤدي اليه الجزية فعتدت بين الدولة العثمانية وبولونيا معاهدة سنة ١٦٣٤ كانت نافعة للبولونيين . وفي تلك السنة بدأت روسيا بحجة الدفاع عن مسيحيي الشرق تدس الدسائس .

خدم نالي بك وهو بولوني واسمه الاصلي بويوفسكي الباب العالي اعظم خدمة في

القرن السابع عشر كما خدم البولونيين والليتوانيين فقد عيّنته الدولة مترجماً في الباب العالي وكان يحسن سبع عشرة لغة

وفي سنة ١٦٧٢ زادت الاخطار التي كانت تهدد بولونيا منذ سنة ١٦٥٢ فكان قيصر الروس يدرس الدسائس بين القوزاق والتاتار والأتراك ليعملهم على النيل من البولونيين حتى كان من السلطان محمد الرابع ان اعلن عليهم الحرب في نيسان سنة ١٦٧٢ فاستولى على كامينيك بودولسكي وليوبول وكلي اهم المواقع الحصينة من اقليم روتينيا غاليسيا . فطلب صاحب بولونيا الصلح من السلطان وتخلت بولونيا للباب العالي عن بودولي واوكرين وان تدفع اليه جزية سنوية قدرها ٢٣٠ ألف دوكا الا ان الامة البولونية لم ترض ان تدفع مثل هذه الجزية لما رأت فيها من العار عليها وآثرت ان تعود الى الحرب تموت في ساحاتها من ان تقبل بشروط ارتضاها ملكها مأفون الرأي ضعيف الحول والطول فماد السلطان محمد الرابع الى القتال وهاجم سويسكي جيوش العثمانيين في شوسيم على نهر دنيستر واستولى على المدينة ورجع العثمانيون على اعقابهم الى بابا طاغ حيث كان السلطان محباً فصادف ان مات في ذلك الحين ملك بولونيا فانصرف سويسكي الى فارسونيا للاشتراك في انتخاب ملك لبولونيا فقدر انتخابه ملكاً لها مكافأة له على الخدمة التي قدمها لامة . وعاد الى قتال العثمانيين فهزمهم في بودوليا واوكرانيا وفي ١٩ شبان ١٠٨٧ هـ عقد الصلح على ان لا تدفع بولونيا شيئاً ويبقى لها قسم من اقليم بودوليا ويحتفظ العثمانيون بكامينيك وان تكون مغانج الاماكن المقدسة بيد بولونيا لانها دولة تسامح لا تتعصب لكاثوليكي ولا لرومي ولا لبرستانتي ولا لغيرهم من اهل الاديان وذلك على الرغم من ارادة روسيا فصفت العلاقات بين الدولة العثمانية وحكومة بولونيا

ولما سافت الدولة العثمانية على فينا مائة وخمسين الف رجل وكادت تستولي عليها انجند صاحب بولونيا صاحب النمسا فارتد العثمانيون عن عاصمة النمسا ثم اقتتل الجيش العثماني مع الجيش النمساوي سنة ١٦٩١ في سالانك على نهر الطونة فغلب العثمانيون اولاً ثم انهزموا فاقدن ثلاثين الفا من رجالهم وفي سنة ١٦٩٤ رد البولونيون العثمانيين من كامينيك بودولسكي

ونال العثمانيون على عهد مصطفى الثاني عدة نصرات على جمهورية البنادقة واستولوا على الهرسك وامدوها بالذخائر وجاز السلطان في جيشه الطونة ماراً بأقي بنار

(كارلسبرج) وتمسار ولاغوس وقاتل النمساويين فقتل زعيمهم وقتل العثمانيون من الروس في ازوف ثلاثين الفا ثم قتل العثمانيون في غرة صفر ١١٠٨ في تسيبا على يد النمساويين وكان العثمانيون يريدون انتفاذ بلاد المجر من النمساويين

وفي خلال ذلك اجتمع ملوك اوربا للمرة الاولى لحل الاختلافات التي كانت بين الدولة العلية العثمانية وبين سبع دول من دول اوربا وبموجب ماتم من هذا الاجتماع ارجعت الدولة العلية الى بولونيا كامينيك وبودوليا واوكرانيا ونقلت الاولى للثانية عن الخراج الذي كانت تتقاضاه منها ومنذ ذلك العهد تصافت بولونيا والعثمانية لانهما ابقتا بدسائس حكومات اوربا التي يقصد بهما اضعاف الفريقين فكانت اوربا تترك روسيا تعتدي على العثمانية وبولونيا والسويد بدون ان تطلبها باحكام العدل والانصاف ومراعاة حق الجوار نعم كانت تفضي عن روسيا لئلا تقسطها من الارض العثمانية والبولونية والسويدية

تثبت حرب هائلة على عهد السلطان احمد الثالث بين السويد وروسيا وبولونيا وسكسونيا دامت منذ سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٧٠٩ فانتهزم السويديون والبولونيون ولجأوا الى الارض العثمانية فتمزقوا في بندر من اقليم بيسرايا فاكرمت العثمانية مشواهم الا ان روسيا لحقت بالمتهمين الى الارض العثمانية وفي خلال ذلك دخل الاسطول الروسي الى الاسطانة فاغتاظ السلطان واعلن الحرب عاهداً بقيادتها العامة الى الصدر محمد باشا البلطجي وحمي وطيس القتال بين عساكر الدولة بعضدها اناس من البولونيين وبين الروس في سهول هوسك فاركب الله القائد العثماني اكتاف العدو ولكن القائد العثماني عاد فارثي من كاترينا الاولى ملكة روسيا وعقد بين دولته والامبراطورية الروسية معاهدة اجحفت بمحقوق امته فعزله السلطان ونفاه الى جزيرة لانس وقتل خنقاً من ارتشوا معه من رجال الدولة اذ ذلك مثل وزير الداخلية ورئيس الكتاب وغيرهما واعلن السلطان ان هذه المعاهدة بين الدولة العلية وروسيا لاغية وعاد الى اعلان الحرب على العدو سنة ١٧١١ بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم فلوقت الحرب بسعي الروس في الاسطانة وعقدت معاهدة جديدة بين المتحاربين فوقع رجال روسيا على عهد الصلح ليسغلوا الدولة ويغنموا الوقت فلما ابلغوا مضمون المعاهدة للقيصر ابي الاقرار عليها فاعلن السلطان الحرب في شوال سنة ١١٢٤ ولم يظفر الروس في هذه الواقعة بالعثمانيين الا لان وزارتي لندرا والهائي كانتا تعضدانه على العثمانية وبولونيا والسويد وبمساعدها اوقفت

الدولة العلية الحروب ووقعت في ادرنة يوم ١٣ حزيران ١٧١٣ عَلَى معاهدة صلح الى مدة خمس وعشرين سنة ولم ترع فيها مصلحة الدولة العلية وعادت روسيا فعدت معاهدة اخرى مع الدولة العلية سنة ١٧٢٠ من مقتضاها انه يحق له التدخل في شؤون بولونيا .

توفي السلطان احمد الثالث سنة ١١٤٩ هـ وخلفه السلطان محمود الاول فخارب
الفرس واضطر الى التخلي عن تبريز وفي سنة ١١٤٩ هـ وقع الفرس والعثمانيون عَلَى هدنة
لتتفرغ الدولة العثمانية لمقاومة اعتداء روسيا والنمسا . وازمعت روسيا ان تجتاز بجيوشها
بلاد بولونيا لتداهم الارض العثمانية فاغتاز لذلك السلطان محمود لانه مخالف للعهد
الموقع عليها ولم يسمع الروس لاحتجاج العثمانية فحاصروا مدينة ازوف واضطرت
الحكومة العثمانية ان تسوق جيشا في ٦ صفر ١١٤٩ هـ (١٧٣٦) وكانت قد سقطت
المدينة قبل ان ينجدها الجيش العثماني واستولت روسيا عَلَى اوتساكوف وكبورت
وعلى كوزلوف وبغجه سراي وآق مسجد من بلاد القريم وآق الروس من القطنع سيفه
هذه الوقائع ماسطرة لم التاريخ باحرف من نار حتى كتب المسيو كاستلنو سيفه تاريخه
الذي قدمه الى القيصر اسكندر الاول بشأن هذه الوقائع مانعريه : ان الحملة لم تول
روسيا شرقا فان بلاد القريم اُحرقت ودمرت وربما كان مثل هذا العمل يغتفر عَلَى عهد
البربر لما فطروا عليه من الجهل ولكن احراق المدن في القرن الثامن عشر وتخريب اهم
المصانع والآثار وتدمير المعابد وابداء المدارس العامة وادخال الظلام عَلَى العقول باحراق
خزائن كتب الامة التي تريد الانتفاع بها في انارة افكارها والقضاء الشيوخ والنساء والاولاد
طعنة للذين لا يقصد منه الحرب بل اهلاك شعب عن بكرة ابيه »

ومخالفت روسيا والنمسا محالفة دفاعية وهجومية واحتالت الثانية لعقد مؤتمر مؤلف من
مندوبيها ومندوبي روسيا والدولة العثمانية فرأى الروس بموجب المعاهدة المبرمة ان
تلتى جميع المحالقات التي كانت أبرمت بين الدولة العلية وامبراطورية روسيا وان تسلم
الى هذه بلاد القريم وكوبان وجميع البلاد التي نزلها التاتار ويعترف لمولدافيا وفلاخيا
بانهم امارتان مستقلتان تحت رعاية روسيا ويعترف بان ملوك الروس هم قياصرة وان
تدخل السفن الروسية حرة الى البحر الابيض من خليجي البوسفور والدردينيل فلم ترض
الدولة بهذه الشروط المجحفة وعادت النمسا فاستجملت قواها وحمي الوطنيس في بلاد

البلقان وهزم العثمانيون العدو حتى اضطر الروس الى ان يجرؤوا بانفسهم اسطولهم في بحر ازوف لئلا يسقط في ايدي العثمانيين

وفي سنة ١٧٣٩ عقد الصلح بوساطة فرنسا بين الدولة العثمانية من جهة ودولي النمسا وروسيا من اخرى واعادت النمسا بلغراد وسابا كرا ورسونا وغيرها واصبح نهر الطونة والساف تخوماً بينها وبين الدولة العثمانية وقضت المعاهدة الاخيرة على روسيا ان تهدم حصون ازوف وتناكروج وتحب سفنها من بحر ازوف والبحر الاسود ولا تقهر الا على السفن الاجنبية وان تظل القريم مستقلة وتنال لقاء ذلك حرية المذهب الارثوذكسي في المملكة العثمانية وان تقيم لها سفيراً دائماً في الاستانة ووعد السلطان ان يمنح لقب امبراطورة للقيصرة حنة ايفانوفنا . ولم يجر في هذه المحالفة ذكر لبولونيا . وكان من نتائج هذه المعاهدة ان عرف الارثوذكس على عهد السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٧ بان روسيا تعضد في البلاد العثمانية فكان اول عمل لم ان ينهوا دير الكاثوليك في يافا وهجموا على الفرنسيسكان وغيرهم من البابويين حتى في كنيسة القبر المقدس وكسروا المصاييح والآثار وغيرها وجردوا الرهبان مما كان لهم

ولما ابي اغسطس الثالث ملك بولونيا ان يدخل مع اعداء الدولة العلية في مخالفة ضدها اعترف به الباب العالي ملكاً وارسل من قبله الى فارسوفيا عاصمة البولونيين مندوباً سنة ١٧٣٧ وذلك على عهد السلطان عثمان الثالث وكذلك ابلى السلطان مصطفى الثالث بعد ثلاث سنين صاحب بولونيا بجلوسه على العرش وبدأت العلائق الحسنة بين الدولة العلية وحكومة بولونيا حتى كانت الدولة تصدر اوامرها المرة بعد المرة الى عمالها في شوسيم وبندر والى خان القريم ان لا يكذبوا صفو الصلات بينهم وبين بولونيا واذا نشأ على التخوم خلاف يحلونه بالحسنى

وادخلت روسيا في غصون ذلك جنداً لها الى ارض بولونيا فاعترض الباب العالي عليها فاجابته بانها تنوي اطفاء فتنة داخلية وان العهد تقضي بان لا تتدخل العثمانية في الشؤون البولونية ومع هذا امر الباب العالي فاضطرت بولونيا ان تحسم الخلاف الذي كان قد حدث بين الشعب بداعي انتخاب ملك جديد فاتحدت بولونيا على امر يدها تحت حماية الدولة العلية حتى ان السلطان مصطفى الثالث لما ذهب الى جامع ايوب ليتقلد سيف عثمان الاول على العادة قدم له الجند كأس مشروب على نحو ما جرت العادة فاجابهم انه يرجو في الربيع القادم ان يشربه معهم على اسوار بندر وضفاف دينبر

ولقد كانت جل رغائب روسيا في ذلك العهد ان تقسم بلاد السويد والدولة العثمانية وبولونيا فكانت تسعى الى ذلك بكل حيلة وتعيد عن كل مخالفة كما فعلت سنة ١٧٦٧ بالاتفاق سرّاً مع ملك بروسيا وادخلت جيوشها الى بولونيا فاغتالت الدولة العلية لذلك اذ عدت هذه مقدمة الى جلب الدب الاكبر الى جوارها واعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب على كاتريزة الثانية سنة ١١٨٢ هـ.

وفي سنة ١٧٦٩ و ١٧٧٠ حدثت بين الدولة العلية وروسيا وقائع كتب فيها الظفر للروس ولاسيا في الحرب البحرية التي هاجم فيها الاسطول الروسي الاسطول العثماني في نافارين واحرق السفن العثمانية بقيادة ربان انكليزي واحرقت مدينة تشسبا بالقرب من ازميز وسمع صوت التفدائف الى بعد خمسين فرسخاً والى ازميز تلى بعد ستة فراسخ ودام الحريق من الساعة الواحدة بعد نصف الليل الى الساعة السادسة صباحاً وكان ذلك في ١٣ ربيع الاول سنة ١١٨٣ هـ فغسر العثمانيون خمس عشرة سفينة في كل منها ٧٤ الى ١٠٠ مدفع وتسع سفن في كل واحدة منها من ١٥ الى ٣٠ مدفعاً وراكب واستولى الروس سفينة فيها ستون مدفعاً وخمسة زوارق ودامت الحرب بين الدولتين سنة ١٧٧١ و ١٧٧٢ واستولى الروس على القريم واحبوا عقد الصلح الا ان السلطان نشر في الحرم سنة ١١٨٧ (١٧٧٣) منشوراً يعلن فيه الحرب على روسيا فظفر الجيش العثماني في عدة وقائع في سنتي ١٧٧٣ و ١٧٧٤ وردوا الروس عن تجاوز نهر الطونة والى ماوراء سيلسترا وبيتا النصر كان حليف اعلامهم توفي السلطان مصطفى الثالث وكان قبيل وفاته اخذ منشوراً من حكومات بروسيا والنمسا وروسيا باتفاقهن على تقسيم بولونيا تقسيماً اولياً وذلك في سنة ١٧٧٢

وخلف عبد الحميد الاول اخاه مصطفى الثالث وفي ايامه اتفقت روسيا والنمسا على حرب الدولة العثمانية فاستوليا على اوتشاكوف سنة ١٧٨٨ وفي خلال ذلك كانت المانيا تحاصر بلغراد فغزن السلطان المائال مذكه حتى مات قهراً سنة ١٧٨٩ وظل خلفه سليم الثالث يحارب تبك الدولتين ولكن ردت الجيوش العثمانية على اعتابها واستولى الظافرون على بندر وغيرها واستولى النمساويون على بلغراد وسائر مدن الطونة وفي خلال ذلك احبت انكلترا وبروسيا والنمسا ان تحمل روسيا على توقيف الحرب على العثمانيين لاشتغالهم بشورة فرنسا الاولى ولكن كاتريزة صاحبة روسيا رأت الفرصة مناسبة لدوام الحرب واتمام رغائبها بشأن العثمانية وبولونيا الا ان جيوش العثمانيين ظفروا في عدة مواقع

بالجيش الروسي وذلك سيفي البحر الاسود بالقرب من يكي قوله ثم بالقرب من آق ير (سباسبول) وانتهزم امير البحر الروسي في ٨ ايلول سنة ١٧٩٠ وتبدد اسطوله وبعد خمس وستين سنة في ٨ ايلول اي سنة ١٨٥٥ سقطت سباسبول ايضاً وفي خلال ذلك حدث لروسيا ما شغلها ببولونيا فمقدت الصلح مع الدولة العلية وفي سنة ١٧٩٣ قسمت بولونيا تقسيماً ثانياً وفي سنة ١٧٩٥ قسمت نفسها ثالثاً بين الدول الثلاث ولم تقم دولة من الدول بينت شقة في الاعتراض على هذا العمل الا الدولة العلية التي اعترضت على نزع استقلال بولونيا بالقول والفعل ولكن قدر فكان واستولت روسيا وبروسيا والنمسا على بلاد البولونيين بعد مذايح بيعت فيها الارواح بيع الجبان.

ولقد عازمت حكومات اوربا سنة ١٨١٥ ان تقيم في فينا مؤتمراً دولياً لتقرير حال السياسة وسعت روسيا ان لا يقبل فيه مندوب من الدولة العلية فنجحت في مسعاها وكان من اثر ذلك ان اخذت روسيا تحرض اليونان والصرب والبلغار من رعايا الدولة العلية على نزع ايديهم من حكومتهم فقفى في دساتيرها الوف من هذه العناصر ومن المسلمين ايضاً

وحدثت بين سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤٨ عدة فتن داخلية في البلاد العثمانية وكذلك في بلاد الفلاخ والمجر وتدخل الباب العالي في شؤون ولايات الطوطة واهم ذلك فتنة المجر ولو جرت الدولة العلية على تحالفها مع بولونيا والمجر وعنصرها من العناصر التي تحب العثمانيين كثيراً لنجت هي وهم من غوائل سياسية كثيرة

فلما ان الدولة العلية ناهضت لحفظ استقلال بولونيا بالقول والفعل وذلك على عهد مصطفى الثالث الذي اعلن الحرب على كاترينا الثانية لجرد الدفاع عن بولونيا فبعثت الدولة الصدر محمد امين باشا الى نخوم شهري الطوطة وديستر سنة ١٧٦٨ فحاولت كاترينا ان تدخل اليه السم فاكتشفت المكيدة وشتق الاطباء ولكن عاد الصدر فتناول رشوة من روسيا هو وامير مولدافيا وترجمان الباب العالي فلما اكتشف السلطان امرهم امر باعدامهم في آب سنة ١٧٦٩ وارسل الباب العالي قائداً آخر ودام القتال بين البولونيين والعثمانيين من جهة وبين الروس من جهة أخرى الى سنة ١٧٧٠ وانتهى على مامر بك اتفاقاً بتدمير الاسطول العثماني في تلك الوقعة المشهورة

فالمسلمون والبولونيون اصدقاه منذ عرفوا بايكيد لم اعدواهم حتى ان بولونيا لم ترسل بجيش منها مع جيوش الصليبيين الى الشرق لما قام هؤلاء باستخلاص البيت المقدس

من ايدي المسلمين . ويكفي في عناية الدولة بالبولونيين وعنايتها بالبحر بين انفسا انها فتحت صدر بلادها لقبول المنكوبين منهم والعاملين على انهاض بلادهم واسترجاع سلطانهم فانزلتهم في ارضها على الرحب والسعة ووسدت الى بعضهم المناصب واستمعات بهم على نقوبة كلمتها الجندية والسياسية حتى ان الدولة لما ارسلت الى مؤتمر بكرش الدولي مندوبا من قبلها في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اعطت بارت دول اوربا اذا رضيت بان تعيد مملكة بولونيا الى حالتها بعدل الباب العالي علنا عن امتلاك ولايات الطونة ولذلك رأى عقلاء من البولونيين ان تولف كتاب بولونية سنة ١٨٥٤ تحت رعاية العثمانية فتألف عسكر الفوزاق وكان منهم كتاب الدراغون التي جاءت الى سورية ايام فتنة سنة ١٨٦٠ في جبل لبنان

وكان من كتاب البولونيين في حرب القريم ان ابلوا مع العثمانيين بلاءا حسنا ولما انتهت الحرب اقطعتهم الدولة بعض قرى في ضواحي بروسه واسسوا لم بلدة في ضواحي الاسنانة لانتزال الى اليوم وقد دان بعض قوادهم بالاسلام مثل ميخائيل ساجوفسكي الذي سمي بعد محمد صادق باشا ولو بورد زافي الذي لقب بمحمد حلي وغيرهما من رجال البولونيين الذين اخلصوا الخدمة للدولة العثمانية . وابن محمد صادق باشا المشار اليه هو مظفر باشا متصرف جبل لبنان السابق .

وهكذا كان الاتراك والبولونيون يتحابان كلما طال المدى خصوصا والعثمانيون يعملون حسن معاملة البولونيين ايام استقلالهم للتتار المسلمين النازلين في بلادهم ليتوانيا منذ سنة ١٤١٠ وكيف كانوا يعتمدون عليهم في الدفاع ويؤلفون منهم كتاب تغني عنهاها في رد هجمات المهاجرين على بلادهم وكانت لهم حريتهم المذهبية والشخصية حتى كانت تسمح لرجالهم ان يتزوجوا من النساء البولونيات لثقة النساء عند التتار وان يتبعن مذهب رجالهن وما قط تزوجت مسلمة من بولوني كما انه لم يتزوج ناتاري من يهودية وكانت بلاد بولونيا قديما الطريق التجاري لبلاد الشرق الى اوربا لان بولونيا كانت اول بلاد المسلمين ولذلك ترى العادات والاذواق واحدة في البولونيين واكثر العثمانيين وبين البلادين من الصلات التجارية شيء كثير ولا سببا بعد ان زادت مدينة البولونيين ونما عددهم الذي بلغ كما قال مؤلف الكتاب الذي اقمنا عليه في ترب هذه النبذة ثلاثين مليوناً وهم نازلون بحر البلطيق الى البحر الاسود ومن نهر اودر الى داوينا الى دنيبر .

ذهب استقلال بولونيا منذ نحو قرن ونصف ودعاة استقلالها مازالوا منبئين في البلاد لم يدخل اليأس على نفوسهم والاب يلقن اباه والام تلقن ولدها التناغي بالاستقلال ويملون ابناءهم تاريخ بلادهم وعظمتها وبطش الحكومات التي تقاسمتهم ولا سيما روسيا ويذكرون لها مذايحها وافاعيلها فيهم فهل يوفق اولئك الدعاة الغيورون الى ما نصبوا اليه ذات يوم ياترى ام يخضعون على الدهر لمن استصفوا ارضهم وديارهم .

ان انقضاء القرون في حياة الشعوب لاشأن له بقدر كثر السنين في حياة الافراد وما المثة سنة بالشيء الكثير على امة تطلب التجدد وتزرع ربتها من يظلمها ولذلك يرجى الاستقلال لكل امة كانت لها فئدتها كالمصريين والجزائريين والهنديين وغيرهم ممن استعمرت بلادهم واقرب الامم بالاستقلال البولونيون والليتوانيون .

الفصيح العامي والعامي الفصيح

من ممثلي لغوي مكرزل صاحب جريدة الهدى اليومية في
نيو يورك

ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نعمة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللغة ما يدل على ازالة الابهام وكشف الغامض بايراد ابيات غزل الشعراء وعبارات بلغاء المشين على سمة الكلمة والعبارة كما ترى في وبستر في الانكليزية وليتبر في الفرنسية فترى اكثر النكتات بقرصون في مالا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في العقيم والوحشي وان كل من حرف عرف .

فاللغة في حاجة الى معجم تقام على كل حرف وكلمة منه شواهد شعرية وثروة يسلم معها الفروق ويستقيم ويرد الكلام المدعو عاميا الى اصله الفصيح ويعدل عن التفرع الى السهل المقبول

قد تها ثوب اللغة حتى كاد يسقط من نطفة فترى كل من تحيف يباه بحجة وجدل عن ادعاء ومكابرة يحتجب الفصيح ويستلب البليغ ويحرك خشائه غضبا على كل من

ملك من اللغة عنانا وضبط لها بياناً ويكون لا بدري من اي الدهماء هو ولا يعرف له في عالم الادب اصل او فصل واكنه يتوهم ان كل كلمة يقرأها ولا يفهم معناها تكون من « الحوشي » والوحشي ! » . وان كل مداولته السنة العاشرة ساقط يجب الترفع عنه وتكون الكلمة التي لا يفهمها من ابلغ ماجرت به افلام المثشين والشعراء الا انه لم يطالع ليعلم ولا تحرى ليفهم ويكون بعض مداولته السنة العاشرة من بقايا افصح اللغات العربية التي اعتورها التصحيف والتخريف وقليل من البحث يرجعها الى اصلها وبقيم من اللسان متأدة على ما وقع من نحو خمسين عاماً او اليوم اذ توكد المجتهدون اثر بلغاء العربية الاقدمين وتشطوا للبحث والتتبيب واقبلوا على التدقيق والتحقيق وقد ترجع مشايرتهم اللغة الى روتها الاول بعد خمسين عاماً تأتي .

وليس لنا حتى في مدارسنا الوطنية اثر « للوطنية » فترى ان كل مدرسة سورية قد اوجبت على التلاميذ التخطيب بلغة عربية عنهم حتى عند اول دخولهم بابها فيتسرب العتوق وشي من البله الى قلوب وعقول هؤلاء الاولاد المساكين ويكون القائلون على تهذيبهم وتدريبهم من خونة الوطنية ومجرمي الآداب اذ كيف يعقل ان طالباً لا يفهم من الفرنسية او الانكليزية او الروسية او الجرمنية كلمة يكلم رفيقه باحداهن قبل انتضاء الاعوام عليه وكيف يقبل السوريون مثل هذه « الشريعة المدرسية » الظالمة التي تكفم التليذ وتعوده الخيانة اضطراراً لقضاء حاجاته الضرورية وتنشئه على حب لغة غير لغته ووطن غير وطنه ولو ان المدارس السورية توجب التخطيب بلغة اجنبية في ساعة واحدة معينة للتلاميذ لكان ايجابها معذوراً وان لم يكن له مثيل في اي مدارس اوربا واميركا وانما هو الاحتقار يركب الصغار والمدرسة التي لا تصان فيها اللغة الوطنية تكون عدوة الشعب ولو كان منشوها من الصرحاء .

ان البلاء ليس في الادعاء وحده بل في اختزال كل منا برأيه والتصرع والتصاغر للاجنبي والتفروغ الظاهر تكلفه والتفوق البادي تخيفه مع الوطني وريح التخاذل حتى في اللغة تنجف كل ذروة باقية في جرفها وتحتمل كل درة كما تعرفها قبل عصفا والله في تدابيرها شؤءون .

وهناك آفة جديدة على اللغة من اهمال معاجمها المعروفة وعدم تنقيحها وتصحيحها وادخال الموضوعات الحديثة اليها في اي معجم نرى نفسيراً عصرياً للبحر والندي والرعاد والمنطاد مثلاً اوجعاً لثبات ما جمع على صحته المحققون او توسعاً في الاشتقاق

والنحت والقلب والاببدال والتركيب والادغام مما لا غنى عنه في لغة حية بل نرى ان كل معجم يطبع حديثاً يجرّد من الكثير من اصوله بدعوى حفظ آداب الناشئة وصون اخلاقها . فليكن ذلك . ولكن بعد بذل شيء من العناية لزيادة الضرورة للكبار كالتناص الضروري للصغار .

الفيلسوف اللغوي يحد في كل معجم حديث زيادة جديدة وشروحات مفيدة الا في العربية الباقية كالرسوم الدوارس مع تعدد المدارس . وترى « المثقفين والمهذبين » ينشرون صفحات الحريري والبديع وجمع البحرين وامثالها لاشرب التلاميذ روح المخادعة والمصانعة والخبانة والحيالة والذيلة على غير قصد منهم او بقصد استظهار الشوارد والاوابد ويطوون صفحات كل كتاب يكون افيد واعود وانفع وارفع لانهم لا يزالون كالفلاحين الشرقيين محافظين على المحاريث القديمة !

ومن عيوب العربية ايراد جموع لامفرد لها وافعال لامصدر ولاماضي لاحدها فهل نقبل فلسفة اللغة شيئاً من هذا ؟ وهل يعقل ان واضعي اللغة بنوا كلاماً من غير اجزاء ؟ اننا لانسب هذا الخلل الا الى مدعي المحافظة على سلامة اللغة اذ يكونون محافظون على قديم عقيم لا يسلّم به عقل سليم .

وفي اللغة عيوب كثيرة الصقها بها غير الراسخين ونظن ان أوان النهضة الادبية قد آن وانه يجب ان يعلن دستور اللغة كما اعلن دستور الحكومة انما مورد الآن ما حضرتي من العامي الفصحح للغاية التي بسطتها في التوطئة .

توأ — اسأل عجوزاً او شيخاً ان يدلّك على بيت او طريق في لبنان فيقول لك « اذهب توأ » ويشير باصبعه والكلمة فصحة من قولم جاء توأ اي قاصداً لا يعرجه شيء

بريص — يقال بريص الارض اذا ارسل فيها الماء لتجود او بقرها وسقاها سقياً رويًا وهو المعنى الذي تستعمل العامة الكلمة له في بعض السواحل والقرى الغزيرة المياه اما في سائر لبنان فيفهمون بالبرصة رش الماء امام البيوت والحوانيت وليس في المعنى شدوذ

دعث — الدعث هو تدقيق الرجل التراب على وجه الارض بالقدم ودعس — وقرب منه دعس الشيء اذا وطئه شديداً والغريب ان اكثر الصحافيين يعتبرون « دعس » عامية وان الكشّاب لا يستعملونها لزعيمهم ان المعنى العامي غير تام

اما «دع» فلا يذكرها احد منهم مع ان القرويين يستعملونها «لرص» ويقولون
عن الارض المدوسة مدعرة وعن الطوح التي تكف: يجب دعسها او دعسها .
فليتأمل القاري

دعك — كلمة فصيحة ويقال دعك: الثوب اذا ألان خشفته الا ان متفرنجي
اللغة لا يرون في الكلمة فصاحة فيستعملون «أخلق» وهي لاتدل على شيء من الدعك
بل على البذ والارثا

دعر — يقول العرب: عود دعر نخر للردى الكثير الدخان ويفهمون بالدعارة
(بتشديد الراء) سوء الخلق ويقولون دعر العود اذا دخن ولم يتقد ونقول العامة
رجل دعر اذا كان متصبلاً جافياً وهو من المجاز الذي لاغنى عنه الا ان من الناس من
لا يريد ان يمتد نظره الى ابعاد من اربعة انفه .

دغري — في محيط المحيط ان «الدغري تحريف الطوغري بالتركية ومعناه
الصخب والمستقيم» فلماذا لا يرجع الى الاشتقاق العربي فيكون معناه الاتقام من غير
قُبْتُ وهو المعنى الذي يريد به أكثر العامة اذ يقولون: اذهب دغري وذهب دغري الى
البيت واذا وجد اختلاف فما لابعث به .

الثغرة — يلفظ أكثر اللبنايين الثآء بين لفظها الاصل ولفظ الثآء او الطآء فيقولون
انثغرت الثغرة ويستعملون الكلام الفصح في المواضع التي لا يحسن كثير من كتاب
هذه الايام استعماله فيها ولا عبرة باللفظ الذي لا يفسد المعنى — لو كان اللفظ يفسد
معنى الكلمة لكانت اللغة الانكليزية فاسدة في أكثر كلامها بين اللفظ الانكليزي
والامريكي والكندياني والاوسترالي .

الثلم — خط الحراث ويريد البعض جعله غير فصيح من طريقة لفظه التي اشرنا
اليها في الثغرة .

احزك الحمل — شدة جبداً « والمكارون » يستعملون هذه الكلمة الفصيحة التي
لاترضي البعض مع ان معنى «حزكه» عصبه وضعفه واحزك بالثوب احتزم .

بلصقي — اللبناي يقول: اجلس بلصقي اي يجني ولا يوجد اصم من هذا التعبير
للمعنى المراد الا ان استعمال العامة له جعله عند بعض الناس غير عربي كما جعل بعض
الفضائل مستقياً بها الا ان اصحابنا هؤلاء ينظرون الى الكلام نظراً الى المنوعات

الوطنية التي ليس لانفسها وأدقها قيمة عندكم ولو استطاعوا ان يعاضوا عن هواء سورية العليل بهواء معل بشرط ان لا يكون « وطنياً » لما ترددوا .

مرزعه — مرزقه والكلمة عربية وعلى لسان كل لبناني

شلخه — هبره بالسيف وجريمة الامة انها تستعمل الشلخ للمدية والنجل الا ان المنتشرين على اطراف الجبل والمضطرين الى منازلة ومقاتلة المغيرين والغزاة يقولون « شلخه بالسيف »

حز — وعلى ذكر الشلخ نقول ان نصيب « حز » من (المتعصرين — ونريد بهم الذين يدعون ونوسهم عصرين بلغتنا العامية) ليس افضل من نصيب شلخ . يقال : حز الشيء قطعه . وفيه فقه اللغة للثعالبي انه خاص بالحم الا ان العرب تقول حز الخشبة فرفضها والامة تقول : حزز المئشار جعل فيه أثراً ونقول ايضاً « الحز » للقطع والحزة للقطعة ولا نرى ما يعاب به الاشتقاق

حش — قطع الحشيش او طلبه وجمعه والكتاب بوزنون استعمال « قطع الحشيش » على حشه مع ان الكلمة اصلية لا بصاح غيرها معناها .

القلت — القرة في الصخر يجتمع فيها الماء واصلها نقرة الجبل يستنقع فيها الماء ويستعملها الاولاد من العامة صحيحة دون اكثر الكتاب .

غطط — غاب النوم عليه هذا هو المعنى الاعم عند العامة وبأقي بعده معنى غليان القدر فلو قام منشيء ببلغ واستعمل الكلمة لقال « المعصرون » عنه انه بأقي بالوحشي والحوشي او ان الكلمة دخيلة لانهم هكذا يريدون او هكذا يفهمون .

زلقى — زلفت قدمه زلت . والزلفة الصخرة المساء وبها سميت قرية في ساحل بيروت وفي التسمية دلالة على ان اللسان العربي كان في بلادنا فصيحاً ولا تزال الآثار تشهد له الا ان من نكد الدنيا عليه ان عارفيه — بروحه لا يلفظه — غير كثار وان جاهليه مع الادعاء بمعرفته جيش جرار

زحل — عن مكانه تقى وتباعد

زحلقة — دحرجه ومنه تزحللق الاولاد في مطاوعه

شخر — صات من حلقة او انفه ولا ندري ما يجعل الكلمة غير فصيحة في استعمالها

للغطيظ .

قفقف — في معارج اللغة : قفتف الرجل ارتعد من البرد وغيره او اضطرب حنكاه

واصطكت استأنته وهو المعنى الذي تستعمله العامة له تماماً الا ان هناك معنى آخر لم نعر عليه في المتون وانما ورد رواية واسناداً في لسان العرب وهو : قفقت الدجاجة على بيضها حضنته واستعمال الكلمة شائع في لبنان للمعنيين فهل اغرب من هذا النقص في معاجم اللغة

وخش - الشيء كات وخشاي رديئاً وهذا هو المعنى الذي تريده العامة من الوخش ضد الناعم لانهم لا يحصون الاشياء فقط به بل يتناولون بمعناه رذال الناس وخشارتهم ويصيبون بكل فصاحة .

طم = بالتراب دفن وغطى

كب = افرغ

طريقة - طريق

من الحاضر - من الجاهل

بتكه قطعه تشديد بتكه للبالغة

بت - الامر امضاء

بربر = صاح واجلب وتكلم بالفاظ وحشية

قرقر = شقشق (حاجي تقرر وتبربر)

وكل كلمة مما مر واجبة الاستعمال في موقعها اذ ليس ما يسد مسدها

القر = في محيط المحيط ان العامة تستعمل القر لما غزل من الفياج المبيضة فهل هي

تستعملها الا لما استعملها له الشاعر القائل :

« يرفلن في سرق الحرير وقره »

راز وروز = يقال رازه جربه وامتنعه وقدره وراز الرجل اختبره قال الحريري

لاتسأل المر من ابوه وروز خلاله ثم صله او فاصره

وروز كلامه روا في تقديره وترتيبه فما قول المتفرجين !

تنش - تنش اللحم جذبه قرصاً والشعر نتفه

النتفة = ما تنفذه باصبعك والفعل تنف بمعنى نزع . يرى المتروكي ان معنى العامة

في محله وان انكر المنكرون وبلي هذا المثال ثقل وثقل

نش = الغدير أخذ ماؤه في النضوب وهو المعنى المستعمل له النش عند العامة

أكثر من التحلب والنز . والنز من العامي الفصيح وهو النجل او الماء المتحلب من الارض

يبقى — من من السورين لم يستمع هذه الكلمة ؟ نقول العامة فلان يبقى اي
يهذر وفي المعاجم ان البقية تفريق الكلام على الناس وربما كانت فلفظة الكلمة في المعنى
العامي الذي يتناول معنى الهذر والشقة والغموض
وهم يقولون ايضا عند انزالهم الحيرة في حوض او الدلو في إن الماء يبقى فيطلب
الادباء الأصل لتثبت لم فصاحة الكلمة

قرقة — يقال بنو فلان قرقي اي هم الذين اظن عندهم طليقي وسل بني فلان عن
ناقتك فانهم قرقة اسي تجد خبرها عندهم والعامة تستعمل الكلمة كالتقاراف والمقارفة
مصدري قارف اي قارب

وقراف من لا يستقيم دعارة يعدي كما يعدي الصحيح الاجرب
الا ان اصل المقارنة للاشياء الدنيئة وما لاشك فيه ان التعميم الذي جرت عليه
العامة ناتج عن المخلطة المفسدة للغة الا ان غرضي الآن هو اثبات صراحة اكثر الكلمات
الدارجة واذا وجد في بعضها خلل فذلك من جهل المدعين فوق ما هو من مخالطة
الاعاجم اما تروى كيف تشترك العامة المعنى بقولها : مقارفة التاجر الفلاني حسنة
والآخر دنيئة فروح اللغة لا تزال فيهم وهم افيد لها من الذين لا يفهمون ولا يريدون
تفهم معنى الكلام

قرف — نقول العامة قرف قعة الشجرة اي انزعها والاصل القشر
تف — هذا مثل التف عندي مثل وسخ الظفر وقد لا تكون العامة تفهم ان التف
هو وسخ الظفر الا انها تفهم انه شيء لا يعبأ به وتستعمل الكلمة فصيحة
تفه — اصل هذه الكلمة تفه وفساد لفظها لا يفسد معناها فهي فصيحة يجب استعمالها
على حد ما تستعملها العامة بمد اقامة اللفظ فهي نقول : اي تفه وامر تفه وكلام تفه
وقولها صحيح فصيح

هبط — لازم متعدد يقال هبط بمعنى سقط وهبطه بمعنى انزله واكثر استعمال العامة
للفعل مشددا فهم يقولون هبط الحائط فاين المأخذ ؟
مساك — المساك عود يكون في الخباء يسحك به البيت اي يرفع قال ذو
الزمة الثقي :

كان رجله مساك من عشر صبيان لم تنقسم عنهما الحجر
والكلمة مستعملة عند القرويين بمعناها الوضعي الا انهم يستعملونها لرفع الكرم ايضا

ويظن البعض انها لا تعود فصيحة فعلى هذا المذهب الغريب لا يجوز لنا ان نضع للجامعين
شكيلة ولا ان نلقي الى الاكفاء مقاليد الامور .

ان بلية اللغة في ابناؤها المقيدون لانهم مقيدون ولما كنا نبحث في المسالك فلا
بأس من استعمال الكلمة العامية الفصيحة من ان كل من لا يكون لطيفاً يكون بالطبع
« مميكا »

هيج — هيجه بالعصا ضرب به وهيجه ورمه وتهيج تورم وبما ان العامة تستعمل الفعل
بمجردة ومزیده لم يعد عند المتشبين فصيحاً

هش وهمش — لينظر العارفون اذا كان معنى الجمع والالتقاط تاماً ام لا
جرس — المتشون يستعملون شهر والعامة تستعمل جرس لتسميع الناس واشهار
عيوبهم ونقائصهم والكلمة العامية اصح واوقع .
« ماهذه الجرسة ! »

هاش — لالتفت يا فارقي الى هوش الكلاب وتهوشهم فان ابناء العربية آخذون
بمخنائها وانما تذكر قول العامة : « الناس هاشون » وقولهم : « هم في هوشة وكانوا بتهاشون »
للدلالة على المرح والبهج والفتنة والفساد والاختلاط وتذكر في الوقت نفسه ان الكلمة
عربية فصيحة وان « الهوش والبوش » من فصيح اللغة ايضاً وانه لا ينقصنا الا
التحقيق والتدقيق

الكلمات التالية كلها من فصيح العربية المحسوبة عامية

الثلاثة القطران والانتشار — التشمير للرفع والتقليص — قش الشيء جمعه
والاولاد والنساء في لبنان يقولون : نحن ذاهبون الى الحقل او الحرج نقش اي نجتمع
الوقود — هارش واثب وخارش للناس والكلاب والشيء بالشيء يذكر فالعامة نقول :
رجل هرش للشيخ ولنا فعل هرش الرجل بهرش اذا ساء خلقه فاذا كانت كلمة هرش
عربية فهرش مصحفة وهل اقدر الائمة لايلحنون ؟ — لازق لاصق — ولصقي ولصق
بني بجاني وجانبه — الهيكمة الفضيحة وهي في لسان العرب دون الفيروز ابادي ومحيط
المحيط — حاص حوله اي حام — نعر صوت ينجشومه وصاح : كني تعروفلان نعر — رزه
غريزه والشيء في الشيء اثبتة : رز الودد ورز الدمل والمذ والجرباب — صول الخنطة
والكلس — عزوة الرجل — نثفة ونثفه ونثفه — الوأف — خارت قوته اسبه

ضعف — عززه لامه ووجء — الولودية الصغر — خنخن لم يبين كلامه اي ابدى
خنة او غنة في خياشيمه — خنفس عن القوم : كرههم وعدل عنهم ومنه فلان مخنفس
والولد مخنفس . تفاح تكلف الفصاحة — فلتة لسان وفلت لسانه . السحت الكسب
من مال الحرام — نكس رأسه طأطأه — تعوق تأخر وتربث — يسرها الله : سهلها —
طعمه من : فيه مزااة او طعم بين الحلاوة والحوضة قال الحريري :

لا ابالي من اي كأس تفوق م ت ولا ماحلاوة من مزااة

همدت النار : ذهبت حرارتها وطفئت البتة — نصت وانصت : سكت — سمعاً وتسمع —
خبص الشيء بالشيء خطفه وخبصه للبالغه — الخبنة : التواضع والخشوع — تزتر :
تبخن وهي فصيحة الا ان العامة تكره التزتر والتبختر — حث : حك وقشر — خبطه :
ضربه : ضرباً شديداً

تبقط — نقول العامة : فلان يتبقط والمعنى انه يتناول الشيء قليلاً قليلاً او شيئاً
شيئاً الا ان استهزاء جهلة المتعلمين بالعامة يجعل الكلام الفصح غير فصيح عند الاغبياء
دون سوام .

قرقص — من اين انت القُرْقصاء التي هي انت يجلس الرجل على أليتيه ويلزق
تغذيته يبطنه ويحتجبي يديه اذا كان لا يوجد لها فعل بمعناها فان قول العامة « قرقص »
يدل على القرقصاء الا ان المعاجم تنكر هذا المعنى مع وضوحه . انشد ابو المهدى

لو امتخطت وبراً وضبنا ولم نزل غير الجبال كسبا

ثم جلست القرقصا منكبتا تحكي اعاريب فلاة هلبا

ثم اتخذت اللات فينا ربنا ما كنت الا نبطياً قلبا

الا ان العربية في حاجة الى التحقيق والتدقيق . انظر الى نوع آخر من هذا
الاصل فانهم يدعون اللصوص المتجاهرين « قرافصة » لانهم يقرصون الاسير اي يشدون
يديه تحت رجليه الا انهم لم يذكروا للجمع مفرداً والجمع التي لا مفرد لها غير قليلة
فهل هذا معقول ؟!

نبر — من معاني نبر المعنى الذي اتخذته العامة لرفع الصوت . انشد اللحياني

اني لاسمع نبرة من قولها فأكاد ان يغشى علي سرورا

فلماذا لا تكون الكحلة فـهجة . لاندرى !

نهر — بالله يا أبناء العربية ماهذه الفوضى ! نقولون نهر السائل وانتبه زجره والعامة

تستعمل المعنى نفسه الا بعضها اللنداء عن توسع وما يثبت وجود معنى الزجر في نهر العامة انها لا تستعمل الكلمة الا عند الحدة والشدة ففسدوا اللغة هم اكثر حملة الافلام لا العامة التي لا تزال محافظة على ما لا يحافظ عليه اكثر الدارسين . وقريب من نهر نده . تنحوج — متى ذهب الناس في طلب الحاجات يقولون نحن ذاهبون فنحوج وكذلك يقولون عند شراء حوائج العروس ومع ذلك تعتبر الكلمة عامية عن غير تروا ذ ماهي بضاعة التاجر غير حاجته « وجهاز » العروس غير حاجتها ؟
خش — اهلاً وسهلاً خش . اي ادخل وخشت الحية في الحائط دخلت والكلمة من الفصحح

هت — بماذا تهتني تعبر في وتحط مرتبتي ومنزاتي
متمم — يجب ان يكون لنا من معنى التكلم باقى الخلق هذا الفعل بديل وجود اسم فاعل منه وهو المقامق الا ان معاجم اللغة لا تشير الى شيء من هذا اوان النقص الظاهر فيها تكلمه العامة بقولها : فلان يشقشق ويمتمم فليرجع المنقبون الى المترن ويعتبروا طاح — ذهب وتاه في الارض ومنه « الطائح » عبد العامة للفار من وجه الحكومة ولا يوجد كلمة ادل على المعنى فيجب استعمالها

انتم الجسم — قلنا ان بعض لفظ العامة غير صحيح الا ان كلامهم فصح ومن الشواهد « انتم الجسم » اي ذاب وضعف وبعض الدروز في لبنان لا يزالون يلفظون الكلمة « على حقها » ولا يبدلون الثاء سيناً وشي من العناية يرجع الى اللغة رونغها ولوان الحكومة تقيم الائمة لاقامة الكلام واللفظ لكات تخدم البلاد والعباد ازال مدارسنا توجب على التلاميذ التخطيب بلغة اجنبية ولا توجب عليهم التخطيب « ولو لسانة » بفصح لغتهم كأن التخطيب بفصح العربية غار وبفصح سائر اللغات تخار

وقوق — من فصح اللغة ان الوقواق المكثار والوقواق المهدارة قال ابو بدر المسيلي ان ابن ترفي امته وقواقه تأقي نقول البوق والحفافة

الا ان المعاجم لا تذكر الفعل الا لنجاح الكلب واختلاط صوت الطير وعندى ان الكلمة على ما تستعملها العامة صحيحة فصيحة اذ كيف يقولون وقواق ووقواق ولا يقولون وقوق بمعناها ثم ان العامة تستعمل « الوقوقة » في التهمك كأنها نقول ان فلاناً يخطئ وبلت فاذا رفض الغوريون الا التقيد بسلاسل التقليد البليد فلا اقل من التسليم بصحة المجاز

ات — ثم ان الت هو الخلط فلماذا يجوز لنا استعمال الخلط واعتباره فصيحاً ولا
 يجوز لنا استعمال الت وهو بمعناه . فكم انت مطلوبة ابتها العامة !
 فقع — مات من شدة الحر والملة نقول « فقع ومات » مع تخصيص المعنى بالهم
 والغم الا ان المراد ظاهر وحوادث الفقع في حمارة الصيف كثيرة في امهات مدن
 الولايات ويجب استعمال الكلمة الا من « مفاقيع » اللغة .
 تصيع الرجل = ضل . من تصيع الماء اضطرب على وجه الارض وفي الحرف معنى
 التفرق بتردد وتخير فلماذا لا توسع في اللغة كما توسع العرب قبلنا .
 المداس = الحذاء الذي يلبس في الرجل « والمتفرنجون » بفضول استعمال اللستيك
 والضباط والجزمة لان « المداس » مستعمل من العامة فكأنهم يحاولون اظهار تفوقهم
 بنبيذ اصح الكلمات العربية لالحجة الا ان الكلمة من غير « زيهم » الحديث
 حئت فلاناً = ذلك حنكه والغريب ان الكلمة تعد عامية متى استعملت لذلك
 القابلة حتى الطفل قبل ان يرضع فاذا كان معنى ذلك موجوداً قاين « العامية » في
 الكلمة وهي على فصاحتها . ابعط في كلامه : لم يرسله على وجه قال روبة
 وقلت اقوال امري لم ييمط اعرض عن الناس ولا تسخط
 وابعط في السوم تباعد وتجاوز القدر — قال حسان
 ونجار اراهم ابعطوا ولو انهم ثبتوا لما رجعوا اذاً بسلام
 سفق — سفته بالكف : لطعه قال ابو منصور سفت الباب واسفته أجهته . وسفق
 وجه الرجل لطعه فاستعمال العامة للسفق في محله .
 دمشق — الشي زينه . قال ابو غنيلة :
 « دمشق ذاك الصخر المصخر »
 وهذا هو معنى العامة : شاب مدمشق وقامة مدمشقة
 دلق — تروى في المعاني التالية ، تدلق السيل عليه واندلق هجم واندفع — اندلق
 الشي خرج من مكانه ، وكل ماندر خارجاً فقد اندلق ويقال : طعن ، فاندلقت افساب
 بطنه اي خرجت امعاؤه ودلق وادلق السيف اخرج ، فاي جريمة لغوية في استعمال
 العامة للدلق والاندلق بمعنى الصب والانصباب
 عثر — زل ومعثر ساقط وزال والعامة تلفظ الثاء تاء
 خثر — جمد وتماسك ومخثر مجعد

لزم — الشيء شدة الصقة والقوم اجتمعوا وتضابقوا والشيء بالشيء الزمه به فليعتبر اللغويون

زملك — عن ابن الاعرابي زمكت القرية وزمجتها اذا ملائتها والزمك ادخال الشيء بعضه في بعض والعامية تستعمل المجرد والمشدد استعمالاً صحيحاً

زرك — زرك الغلام ساء خلقه . هذا عند اللغويين فصيح ولكن لا يجوز لنا ان نعامل زرك معاملة « ستم » فنقول اسأماً وسأماً وازرك وزرك وماذا ؟! قد تكون العامية على صواب

دعقه — في لسان العرب . الدعق الدق ومحيط المحيط لا يذكر هذا المعنى الذي هو معنى العامية تماماً الا اذا كان لا يجوز لنا استعمال الصب للبترول — لانه لم يكن عند العرب ولا لسائل آخر غير الماء والخمر

حوشه — جمعه وانحاش عنه تقبض ونفر والحواشة ما يستحي منه والعامية تستعمل كل ذلك دون حملة الاقلام
لقلاق بقباق — مهذار كثير الكلام والالفة تقطيع الصوت والجلبة ولقلق وقتل
بمعنى واحد للتخريك والهز

لاط — لاطه خاطله وعجنه وقد وردت في كلام الامام علي
الحدو — الحدو عند الموت من الفصيح
سن — سن الارض ملسها قال الشاعر:

ثم خاصرتها الى القبة الخضر رآه نمشي في مرمر مسنون
وهو المعنى الذي تستعمله القروية اللبنانية بعد ان « تطبن بيتها او تمرحه » وتسنه وتسن « الحجرية »

شرم — شق وقطع فهو مشروم بكل فصاحة
استملح — الشيء عدده مليحاً .

سبرك سبري — تريد العامية بذلك ان عليك ما علي لان اصلك كاصلي وهيتك كيهيتي وليس من مغمز

تغنفس — كان ذا صلف وخفة وخيلاء وادعى بما ليس فيه ولا يريدون ان يكون له رباعي

تغنفت : شككت وتدالت

تعلج : فلان على فلان بغى عليه وظلمه فهو مغلج
تخنها : غلظها وصلبها

حزر : الشئ قدره وضمنه وحزره التي غايه ما يحزره

اقلعت الباخرة = في الجرائد والمجلات والكتيبات نقراً هذه العبارة الواجب الاقلاع عنها — كانوا يقولون اقلعت السفينة اي نشرت شراعيها او قلعوها لتتخر شاقة الماء. ولم يكن ايام كانوا يستعملون العبارة بخار اما اليوم فلا يجوز ان نقول اقلعت الباخرة بل مخرت او جرت الا اذا كان المركب غير بخاري وفي مثل هذه العبارة يظهر فضل اللغة العربية ويثبت لهؤلاء الذين لا يعرفون شيئاً منها اننا بغنى عن تحدي الفرنجة الذين يقولون « اقلعت الباخرة » لفقر لغاتهم

ضربت بكلامه عرض الحائط = معها التمس « المجازيون » من الاعتذار لا اجد هذا التعبير عربياً فاننا لانضرب عرض الحائط بالكلام لنهمله ونسقطه ونطرحه ونرميه . نحن نقول في العربية جاء في كتاب فلان فضربت به عرض الحائط وانما لانقول مثل هذا القول عن الكلام نفسه

حررت له وارسلت له = اصعب ما في اللغة على الدارسين انفسهم احسان استعمال حروف الجر وكل مدقق يتناول الجرائد والمجلات الا العدد القليل منهم يضحك من كثرة السقطات التي لا يعذر منشي عليها وفي متدبرته شراً معجم او في رأسه قوة تمييز بين هذا وذاك المعنى فانت لا تكتب لاحد الا اذا استكتبك ولا ترسل له الا اذا كلفك الارسال اما اذا اردت ان تقول انك تتخاطب احداً بالكتابة فيجب ان تستعمل « الى » لا اللام وهكذا في الارسال ثم ان التحرير ليس الكتابة ولا الكتاب او الرسالة بل « اتقاد » من عبودية السقط والخلل « والغريب جداً ان منشي الجرائد والمجلات يدعون الكاتب محرراً وهم يريدون المنشي لا المصحح ولا المصلح ولا المهذب ليعذروا والاغرب من ذلك ان بعض جامعي المعاجم العربية سقطوا سيفاً ما سقط فيه غير المتمكنين والمدققين وقالوا عن الكتاب والرسالة « تحرير » فأودوا ولم يقوموا .

غب افتقاد شريف الخاطر العاطر = هل على مثل هذه البلادة سيف الانشاء

بلادة !

كل كلمة بنفسها فصيحة الا ان مجموعها لا معنى له والمسؤولية الحقيقية على المدارس

والاسانذة الذين يسقطون الى الجاهلين ولا يرفعونهم اليهم بل ان الجري على الطرائق القديمة يجعل اكثر الكتابات سقيمة عقيمة « خالية من المعنى ولكن ترفع »

ابقاء القديم على قدمه يجب ان يرجع الى عهد بلغاء العربية لا الى العهد المتأخر الذي اعتور اللغة فيه الخلل والفساد فما معنى العاطر والفاخر والشريف مع الخاطر ولماذا لا نكتب ونكتب بفهم وسهولة وبساطة وسلامة ؟

دام بقاؤه = طلب الدوام حمافة وحرام . اي بقاء بدوم ! تدوم المادة بعد استخالة ولكن الذين يطلبون دوام البقاء او يدعون للناس به لا يريدون المادة بل البقاء في دار الفناء وخلود من اعدت لم الخلود

همى الدمع من عيونها — كم من العيون للمرأة وان تكن العيون عليها كثيرة الملاحظة الجوبة — « في طعم هذا الاصطلاح ملح » فانه من غير روح العربية ومن غير فقهها فاذا كنا نحن اصحاب الجرائد اليومية نلتبس الاعذار لضيق اوقاننا عند ما نلجأ الى الحواضر فما هو عذر اسانذة المعاني والبيان في المدارس والكليات وما هو عذر اصحاب المجلات — المطير اصلح من الملاحة وانما لا بد من اختيار كلمة اصلح المظلم والعامر — خرج من عالم الخرافة « المظلم » الى بلاد الحرية « العامرة » الجرح يدمي — الجرح لا يدمي وانما يدمي

خذ اي كتاب ومجلة وجريدة واعتبر فلسفة كتابتها دون الانفاظ . او المعاني دون المباتي . تجد اننا — الا عدداً قليلاً — من حملة الافلام — نتعسف ونتكلف ولانراعي المعاني والبيان لان اكثر المنشئين متطفلون

نحن ابعد ابناء اللغات الحية عن وضع الكلام في مواضعه واقامته في مواقعه لاننا لاندرس فلسفة اللغة بل لان اكثر اصحاب الجرائد والمجلات والمترجمين والمؤلفين من غير الاكفاء الا بالتبجح والادعاء او ان اللغة امست واسطة للكسب والارتزاق حتي بالعبث والتفاني واليك بعض ما يخطر في خاطري الآن احبي به وأكل اليك الحكم

طارت نفسه شعاعاً — تحوصات الاوهام — بغيظه من النظام — هل يعتمد كلام السقيم في « طعم » الماء — رفع الابن باسطاً يده الى والدته — سقط عليه بالفرب حتى « جلد » به الارض — الجالية والطارئة : دون تمييز بين الاستيطان والعود = يسير ويسري دون فرق بين سفر النهار والليل — « رحلوا » في القطار الى المدينة والولاية الفلانية . زاره اخوه فاحسن « قراء » = ضلعوا مع اصحابهم الى واشنطن =

شخص البياع الى بوسطن = كان الخواجا فلان يتدفق في خطابه كالسيل المنهمر الا انه اعتذر بأنه غير خطيب وشكر الناس وجلس دون ان يتكلم !
ثم ماهي فائدة الحركات في اللغة اذا كنا لانريد الا نصرف عن جعل الواو « الثقيلة الد » في اولي وعمر وحيوة وصلوة بحجة التمييز وازالة اللبس وهلا يوجد غير هذه الكلمات في العربية بحاجة الى الضبط ؟ ثم ماهي فائدة الحركات اذا كنا نكتب « إله » ولا يجوز لنا ان نكتب موثته إلهة ؟ ثم كيف يعقل ان تكون جموع لا مفرد لها مثل شلقة ومخاطر ومحاسن وشماطيط وما جمعه الثعالبي وغيره وهل كل ما لا يكون سمعه الجامع لا يكون وضعه الواضع جرباً على القياس ؟ وكيف يمكن ان تكون المطاوعة في فعل ولا تكون في آخر مثله قلماً ؟ وكيف تكون صيغة افعل التفضيل في ما لا فعل له كقولهم : هو اقلط منه او كيف يكون مضارع لاماضي له كقولهم : لم يذر ؟ او مزيد لا يجرد له والامثلة متوفرة ؟

وتمت منابت العربية بعد ان كانت مستحقة وتقاصح كل من لم يكن فصيحاً ولن يكون متفصيحاً فوجب ان يرجع الناس الى فقه اللغة الذي لا اعني به كتاب ابي منصور الثعالبي بل فلسفة اللغة حتى لا يرسل كل من اعتبر بقدرته الكلام على عواهنه ويحسب ان من جمع كلمة الى كلمة كان شاعراً وناثراً واماماً وثقة — يجب الاقلال من التردد المبهم الذي لا يزيد الا اعتسالا والاعتدال في تعليم القواعد بحسب كل مذهب والتوثق في معاني البليغ من المنظوم والمنثور والاستكثار من حفظ الجيد ولا سيما ما يدعى السهل المتعنع ويجب ان تكون مجلاتنا وجرائدنا المدارس الحقيقية ترفض كل كتابة شليلة بالمعاني الضئيلة وينبه المفرور والشعور الى ما يفسد الذوق ويدعو الى الهزء . ومن فقه اللغة ان نسطاح على ما يذلل لنا صعاب اللفظ عند الترجمة والاستشهاد اي ان يكون لنا ما نستطيع معه نقل الكلمة الاعجمية من تكرة وعلم الى معناها الاصلي وقد كان للعرب دؤم واشتاق فليكن لنا زيادة على مثالها والله ولي التوفيق



تولستوي

فقدت المحكمة عضواً عاملاً من دعايتها وعمدة ثقة من اعز انصارها ورعايتها وانساناً كاملاً خدم الانسانية باقواله واقواله وادعاه ارباب التقاليد بحسن مثاله ووراع اقلوب اهل السلطة بحظوته وبقباله ونعني به فيلسوف روسيا واحد رجال الاخلاق في هذا العصر الكنت ليون نيكولا يفتش تولستوي الذي هز نغمة ارجاء العالم المدفي واكبر رجال الاصلاح هول المصاب به

ولد هذا الحكيم في اياستانيا بوليانا من اعمال ولاية تولا الروسية سنة ١٨٢٨ فقيم من امه وهو ابن سنة ونصف وقد اباه في العاشرة وهو من بيت وجاهة وغنى وكان اجدده سمي الادارة بميل الى البذخ والاسراف ففقد ثروته حتى اضطر الى التوظيف فعينه روسيا والياً لتقازان وجاء ابنه والد تولستوي ولم يكن على شيء من العفاف حتى العشرين من سنه ^(١) ورزق ابناً من خادمة زوجه منها اهل ثم تخطى عن الوظائف وتزوج بوالدة تولستوي وكانت غنية تحسن الروسية قراءة كما تحسن الانكليزية والالمانية والافرنسية والاطالية والفنون والضرب على البيانو وكانت على جانب من حرية الفكر وسلامة الوجدان والسذاجة

واشتغل والد تولستوي بالزراعة في الاملاك الواسعة التي ورثها عن ابيه واتصلت اليه من زوجة وكان يحب المطالعة واقتنى مكتبة فيها شيء لا كثير من آداب الفرنسيين وكان من عادته ان لا يقتني كتاباً قبل ان يأتى على مطالعة ما اقتناه من قبل فنشأ ليون تولستوي على اللغة الافرنسية وكان يفهم كتب الفيلسوفين الفرنسيين روسو وفولتير كما يفهم شعر بوشكين شاعر الروس واخذ الافرنسية عن استاذ فرنساوي اسمه سان توما ولم يبلغ الخامسة عشرة حتى كان متديباً بآدابها

ربي في المذهب الارثوذكسي ولكن لم يكمل يبلغ التاسعة عشرة من عمره حتى تنجرد عن الاعتقاد بالكنيسة ولكنه عمده الى التقية فلم يكن يظهر ما يضمير وكان وهو طالب يقوم بالفروض والواجبات وغادر سنة ١٨٤٧ الكلية التي كان يدرس فيها ليلتحق بالفلاحين ويحسن اليهم الا انه لم يفلح وفي سنة ١٨٥١ سافر الى فاغاسيا حيث عين ضابطاً في المدفعية واشتهر ببسالته في حصار سواستبول فعين قائد فرقة وكان في خلال تلك المدة

فقد نشر باكورة كتبه موقعة بالحروف الاولى من اسمه وامم أسرته ثم اقام في بطرسبرج مدة فكتب عدة مصنفات وقصص له وساح سنة ١٨٥٨ في المانيا وسويسرا وفرنسا وعاد الى روسيا بعد تحرير الفلاحين فانشأ في بلده مدرسة نموذجية للفلاحين ومجلة في التربية والتعليم وعين قاضي صلح . وفي سنة ١٨٦٢ تزوج وطابت نفسه وحسن سلوكه ولم يكن من قبل كما قال عن نفسه على حالة حسنة في آدابه وكانت كتبه التي كتبها لأول عهد زواجه احسن ماخطته يده واسلمها فكرياً وفي سنة ١٨٧٤ اخذ بتسامل عن مصير الحياة فصارت تبدر بواذر ذلك على أسئلة قلبه ولسانه حتى اذا كانت سنة ١٨٨٣ تعرف الى فلاحين كانوا انشأ لها مذهبين دينيين من مقتضات ما ترجيح العهد القديم على العهد الجديد وان اصلاح العالم لا يتم الا بالعمل البدوي والشخصي وبعد ان جاهد تولستوي نفسه تخلى في رواية عن بعض افلاكة فبرز عنها على الفلاحين وترك جزءاً منها لأسرته كانت يعمل فيه بنفسه على نحو ما يعمل صغار الفلاحين بأيديهم ومنذ ذلك الحين لم يترك بلده وطلق يحرث الارض كما يحرق الآداب ويث الفضيلة وصار قصره مجمع العلماء والفضلاء وفي ٢٤ شباط ١٩٠١ حرم المجمع المقدس الروسي تولستوي لاحاده وخروجه عن رتبة التقاليد الارثوذكسية وتحققت الحكومة الروسية عادوية افكاره فصارت تراقبه حتى كادت تنفيه مع الوف ممن كانت تنفيهم الى سجونها في سبيلها لولا ان لطف الله به ونقش خدائق الحرية عن امته بانشاء مجلس الامة

ويعتبر تولستوي بانه من اقدر القصصيين الذين نبغوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد اجاد في ذكرى الماضي من حياة امته ووصف الروح الروسية والاخلاق الروسية بحسن مأتاه وجودة اختياره وتفصيله وتصويره فكان بما رزق من هذه الية يصور لك ابطال قصصه كأنهم احياء بل يصور كذلك الاشخاص من الدرجة الثانية والجمهور . وهو قليل العناية بانشائه ولذلك لا تقرأ عليه سحنة الفتن واذ قد نشأ تولستوي لاهوتياً تراء يحاول أن يقترب مما يراه بانه النصرانية الاصلية . وتطالبه الفلسفة الطبيعية بأنه احد دعايتها والناخبون في ضرامها وان تولستوي ليعتد في كل مكان عن الطبعة . والجوهر في قاعدة حياته الجديدة هي الطبيعة الصوفية والاخلاق عنده المقام الاول وجماع القول في فلسفته ان « لا يقاوم الشر بالشر » . وقد ظهرت كتبه كلها في اللغة الروسية في ثمانية عشر مجلداً وترجم معظمها الى لغات اوربا الراقية وترجم بعضها الى العربية ولا سيما قصصه .

وهذا الدور الأخير في حياته هو الذي تمنى أن يموت عليه قال في ترجمته نفسه : لما ذكرت مآلتي من خير وماتم على يدي من شر رأيتني أقسم أدوار حياتي الطويلة بأسرها إلى أربعة أدوار : أولاً ذاك الدور العجيب خصوصاً إذا قيس بالدور الذي يليه — البار البهيج الشعري وأعتني به دور الطفولية . ثم الدور الثاني وهو عشرون سنة كان فيه من الفناء الغليظ والخدمة والطمع العالي وخصوصاً في المكاسب ما كان . ثم جاء الدور الثالث وهو ثنائي عشرة سنة أي منذ تزوجت إلى نشوري الروحي وهو الدور الذي يحق له أن يدعى في نظر العالم دور الأخلاق بمعنى أنني عشت في هذه الثماني عشرة سنة كما تعيش الأمم بالحسنة والنظام غير مستسلم لفسدة يبندها الناس ولكن جميع مصالحي كانت مقصورة على عنايتي بأسرتي بعتابة مقرونة بحب الذات ممزوجة بالانانية وعلى زيادة ثروتي وعلى نجاحي الأدبي وعلى مختلف حظوظ تنالها نفسي والدور الرابع يرد إلى عشرين سنة التي أنا فيها الآن وأود أن أوت عليها وبها يمثل لي مافي الحياة الماضية من عظيم الخطر وهو الدور الذي لا ينبغي سواء ما خلا اعتيادي الشر الذي اندمج في روحي في الأدوار الأخيرة .

هذا مجمل من طفولية تولستوي وشبابه وكهولته وشيخوخته وقد نشأ فيه القيام على الظالمين ومجاهدة المستبدين من الرؤساء الدينيين والديويين مما ثقفه عن خاله تاتيانا الكسندروفنا وكانت من النساء المتهذبات فملته الحب والميل إلى الوحدة والتأثر من المظالم كما علمه روسوفولتير نزع ربة التقاليد الموروثة . ولكن تولستوي لم يتحرر كل التحرر من رق العبودية للحيط والنشأ وبقيت فلسفته ترشح من صبايات النصرانية ومدارها لانقلاب الشر بالشر . رولوسارت أوربا على هذه الفلسفة لما قام عمرانها وانبسط سلطانها على مائري . فلسان حال الغرب « وجزاء سيئة سيئة مثلاً » تحكمة تولستوي ليست بحكمة معتمة انصار الحكمة في الغرب اليوم مادبة صرفة بل هي روحية ممزوجة بطرف من آداب النصرانية تفظها عقائد اشتراكية متطرفة فهو لا يرى أن يملك الأرض أحد لانها لله بل أن تترك وشأنها ينتفع بها عباده ويرى أن لا يعانب المجرمون بالسجن بل أن يصفح عنهم الصفح الجميل ولا يعتد بالوهية المسيح بل يرى أنه إنسان ذو مذهب هو خير المذاهب للناس ومن افكاره الاشتراكية بل القوضوية أن أحسن الطرق في الخلاص من ظلم الحكومات أن يمتنع الناس عن الخدمة العسكرية وعن أداء الضرائب وبذلك تضطر الحكومات إلى اصلاح امرها

ومن تعاليم تولستوي الادبية ان يتعد المرء عن مغازلة النساء ويقتد بزوجه قلباً وقالباً ولا يهجرها لان هجرها مفسدة واي مفسدة وان الواجب ان لا يفرق الانسان بين مواطنيه والغرباء لان الناس ابناء اب واحد وام واحدة وان يسعى كل امرئ به بزالة عدم المساواة بين البشر حتى يعيشوا بسلام . وله آراء في المعاد بعضها مما لا يقره عليه رجال الدين

ولقد ضاق صدر تولستوي قبيل وفاته من شؤون بيته ويقال اننا نشأ ذلك من مقاومة أسرته له في امر خيري كان يريد ان يحتم به حياته وهو ان يجعل ريع كنيسته مادام الدهر وقفاً على أمته فلم يوافقته على هذا الفكر اهل بيته ولا سيما زوجته المشهورة ببخلها فقام تولستوي ذات يوم ورافق طبيبه على نية الهرب من بيته وركب في الدرجة الثالثة من القطار لساوي الفقراء ولكن كانت المركبة مكتظة بالركاب حتى لم يكن فيها محل يجلس فيه الشيخ الحكيم فعرض موظف السكة الحديدية عليه ان ينتقل الى الدرجة الاولى والثانية فابى ونزل في إحدى المحطات وهي اسكافوفا وبقي دماً وزادت حرارته ثم اسلم الروح في غرفة مدير المحطة ويقال ان الفيلسوف كان ينوي ان يلحق باحد الاديار لينضم الى من فيه يعبد الله على مناحيهم وانه قابل ابنة له رابعة في طريقه وفأوضها بضع ساعات كما خلا ساعات برئيس دير ثان

والاقرب الى القنع ان تولستوي عزفت نفسه عن الدنيا واحب التقرب عنها وعن الملاذ والابية في قصره وعن عيشه المحفوف بالخدم والحشم شاء ام ابى واراد ان يفعل الغير هو فوقفه مداخل كنيسته على الامة فعأكسته زوجته وكان منه ان هام على وجهه لا يدري كيف يسير فوافاه حمامه وشق نية على امته البالغة مئة وخمسين مليوناً من البشر وعلى كل من اطلع على طرف من افكاره وفلسفته العملية من منوري الارض ولا عجب اذا عدته امته مفعراً من مفاخرها جاد به الزمان وعدده اهل الاخلاق والحكمة والاصلاح من اعظم من عملوا لادب النفس واصلاح المجتمع الانساني

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الصناعة في مصر

التي علي بك ثروت خطبة في الصناعة في المؤتمر الوطني المصري جاء فيها ما ملخصه :
لم يخفى من قال ان الصناعة أثر الذكاء الانساني في استخدام الطبيعة وتصغير
اشكالها والتأليف بين قواها المختلفة ولذلك كانت اقوى الامم من بنت هيكل قوتها علي
اساس مكين من الصناعة.

وقد كانت امتنا المصرية راقية في صنائعها منذ القدم . ولا تزال الآثار التاريخية
شاهدة حياً علي مبلغ رقيها الصناعي . وكفى في الدلالة عليه ان البلاد المصرية هي التي
بنت فيها قوى الفراعنة ومدنيتهم وحفظت معها مدينة العرب

وكان عظماء من الصناعة في التاريخ الحديث وافرافاته . ا. ولي محمد علي باشا الكبير
الاريكة الخديوية افرغ جهده في ترقية الصناعة الاهلية وجلب لها من الخارج ما ينقصها
من فنون الصناعة الاجنبية

نظر الى البلاد المصرية نظر حكيم فرأى انها بطبيعة تكوينها زراعية صناعية فشرع
عن ساعد الجد واخذ بنهجي المصانع المختلفة في كثير من بلاد الوجهين البحري والقبلي .
اعانه علي ذلك علماء فرأى بعض اساطين الصناعة فيها وساعده ايضا كثير من الايطاليين
والنصاربيين . وقد جاوز عدد المصانع المختلفة التي انشأها مائة وخمسة وسبعين مصنعا
يصنع فيها الخزف والزجاج والجلد والجوخ والانسجة المتنوعة والخيط بأنواعه والطرايش
والالبسة والاسلحة والبارود والمعادن والمدافع والسفن الحربية وجميع ماله علاقة
بالمعيشة . فكان المصري يلبس ملابس اهلية تصنع في بلاده وكانت المدن الكبيرة
والصغيرة والثغور وشائر البلدان العامرة حافلة بهذه المصانع والمعامل المتنوعة

ارسل الارساليات العديدة الى كثير من العواصم الاوربية لاتقان الصناعة حتى
اذا عادوا الى بلادهم بعد ذلك آبوا واقفين علي اسرار الفنون محيطين بدقائق الصناعات فحلوا
محل اولئك المعلمين في المصانع المصرية

انشأ محمد علي مصانع اخرى لصنع الشمع واحواضا لصنع لوازم المراكب
الحربية وداراً لضرب النقود في القلعة فكانت مصر في ذلك العهد ارقى كثيراً من
اليابان

أخذت الصناعة تنمو وتزهر حتى بلغت من الانتشار والرقى مبلغاً عظيماً وبقيت كذلك حتى عهد الخديوي سعيد وقد أسس معملًا كبيراً كان يديره افرنسي كبير هو انجلو بك

ثم اخذت الصنائع الاوربية تغد على مصر وعلى الاخص بعد انشاء السبك الحديدية المصرية فالح قناصل الدول على سعيد باشا ان يبطل جميع المعامل فأبطلها ماعدا معامل الحرية فانه ابقاها كما انه انشأ مدرسة الفنون والصنائع وقصر التعليم فيها على تعليم الرسم وفي العبارة وغيرها من الفنون الجميلة

وقد وفدت على مصر في عهد الخديوي سعيد بعثة افرنسية من المهندسين الجيولوجيين للبحث عن المعادن في بلادنا فأذن لهم الخديوي ان يعملوا . وفي اثناء عملهم عشروا في السودان على صنف الفحم الحجري وحملوا منه كمية الى مصر انجز بها تجربت ووجدت نافعة وأقر على نفعها انجلو بك ولكن قنصل انكلترا في ذلك العهد الح على الخديوي ان لا يعنى بهذا الامر بدعوى انه يكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة فضلا عن ان الفحم من صنف غير جيد فأطاع الخديوي وفقدت مصر بذلك مرفقا تجاريا مهما

وقد انشئت في اوائل عهد اسماعيل مدرسة العمليات الكبرى في بولاق وكانت هذه المدرسة قائمة على نموذج مدارس الصنائع بفرنسا عين لها جيجون بك الفرنسي ناظراً . وقد بلغت من الرقي مبلغاً مدهشاً فكان المتخرجون فيها يؤدون عمل المهندس الميكانيكي والمهندس الرياضي معاً . وفي ذلك الوقت انشئت المطبعة الاميرية في بولاق وانشي بجوارها معمل لعمل الورق على اختلاف اصنافه واشكاله وكان ما يخرج منه هذا المعمل كافياً لحاجة مصر . وقد بقيت على تلك الحال حتى هبط الاحتلال بالادنا . وكذلك انشأ الخديوي اسماعيل معامل السكر في الوجه القبلي والدارس الصناعية في كل بلد من بلاد القطر فكان عهده من هذه الوجهة عهد حياة للصناعة والصناع

قطعت سلطنة الاحتلال سنة ١٨٨٤ ان يلغي معمل المدافع النحاسية وتباع عددها الكبيرة فبيعت هذه العدد من شركة انكليزية بشمن بخس كما قضى ببيع عدد ضرب القود الى شركة انكليزية اخرى وكان من هذه العدد ما لم يستعمل بعد وما لم تفتح صناديقه الا ابدى رجال هذه الشركة وصدر الامر ببيع جميع عدد آلات مصنع الورق وذلك في سنة ١٨٨٥ وفي هذه السنة ايضا باعوا آلات وعدد الورشة الكبرى التي كانت الخاصة الخديوية قد انشأتها حين اشترت سراي الجيزة

وفي سنة ١٨٨٧ بيعت العدد والآلات التي كانت تدار بها مغازل القطن وبيعت ورش القطن في الاقاليم واحدة بعد أخرى

وفي عام ١٨٩٨ بيعت جميع آلات دار الصناعة « الترسانة » الكبرى بالاسكندرية وبيعت مراكب البوستة الخديوية واحواضها لشركة انكليزية بمائة وخمسين الف جنيه وهو لا يعادل نصف ثمن حوض واحد والاحواض كثيرة والمراكب أكثر اما مراكب بولاق وترسانتها فان جزءاً عظيماً منها قد بيع

انشأ المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف السابق مدرستين صناعيتين احدها في المتصورة والثانية في اسيوط ليكون منهما ابرملجاً للتلاميذ الذين فصلوا من المدارس التحضيرية التي كانت في المديرية فالفها الاحتلال اما مدرسة المتصورة فلم تبق طويلاً لان الورش التي يملكها بعض الانكليز في تلك المدينة قضا على حياتها . حتى اذا كانت سنة ١٨٩٣ عادت الى حالتها السابقة واصبحت الآن ورشة بسيطة لا يتعلم فيها الطلاب الامادي القراءة والكتابة والهندسة والحساب والرسم العملي بعد ان كانت تعلم فيها العلوم الهندسية والميكانيكية العالية

وليس ثمة دليل على عظيم الخطأ في عدم رقي الصناعة في مصر اقطع ولا انصع من الاقوال السديدة التي ذكرها المسبو (ليوبولد جوليين) المهندس الزراعي واحد واضعي تقرير لجنة القطن الاخيرة فقد قال :

« ان كل امة بكثرتها وجود المواد الاولى الضرورية للحياة يكثر فيها كذلك وجود المعامل لصنع تلك المواد فيها ومن اهمها القطن فان كل الامم التي تزرع تشهي بجواره معامل لغزله ونسجه والانتفاع به عدا مصر فانها لا تزال فقيرة في معاملها خلواً على الاخص من هذا الصنف »

سعى الساعون في تأسيس معملين لتسج المنسوجات القطنية في سنة ١٨٩٩ احدهما في القاهرة والآخر في الاسكندرية . اما معمل القاهرة فقد اغلق . ولا يزال الآخر باقياً وفيه ثلاثون الف مشط واربعائة نول

وقد لقي مؤسسه صعاباً حمة في تأسيسه اهمها وضع الحكومة المصرية على منسوجاته ضريبة قدرها ثمانية في المائة

ثم رأت ان تنزل هذه الضريبة الى ثلاثة في المائة لمدة خمس سنوات . فعسى ان

تجعل الحكومة هذا الاعفاء دائماً حتى يتيسر لمروجي هذه الصناعة ان ينشروها في كل مكان

على ان في البلاد المصرية غير هذا المعمل نحو ستة آلاف وثلاثمائة نول للنسيج وكلها للوطنيين وهي تستورد خيوط الغزل من الممالك الاوربية وقد استوردت في سنة ١٩٠٨ من هذه الخيوط ما قيمته ٢٢٩٠٠٠ ج

على ان ما تستهلكه البلاد المصرية في عام من المنسوجات الاوربية بلغت قيمة في سنة ١٩٠٨ ٤٠٠٠٠٠٠٠ ج ولو كانت مصر تنسج منسوجاتها في معامل لحسابها لبقيت هذه الملايين في خزائنها ولم تنقل الى خزائن المعامل الاوربية

وقد فكر بعض ذوي النفوس العالية في الحال وفي مقدمتهم المرحوم مصطفى كامل باشا الذي اقترح على الامة في سنة ١٩٠٢ انشاء معهد صناعي كبير يكون بمثابة تذكار لمروءة مائة عام على تولية محمد علي الكبير مؤسس البيت الخديوي فلبت جمعية العروة الوثقى بمدينة الاسكندرية نداءه واخذت في الاكتتاب لتأسيس مدرسة محمد علي الصناعية فوجدت من نفوس الامة ارتياحاً واقبل على الاكتتاب الكثيرون وفي مقدمتهم الخديو واعضاء الأسرة الخديوية وكرماه الاوربيين القاطنين في مصر

وما جاءت سنة ١٩٠٨ حتى كان بناؤها عالياً ووضعها محكماً وهي اليوم تقدم للشر احسن الاعمال وتكفي الكثيرين من ابنائه ثم نفاها لخير هذا النحو فتأسست مدرسة في اسيوط بهبة محمود باشا سليمان احد كبار الاعيان وتأسست مدرسة في بني سويف وثالثة في الفيوم

وقد عني الامير حسين كامل باشا بالاكتتاب لمدرسة كبرى صناعية لمديرية البحيرة فلبى دعوته كثير من الاعيان الاغنياء وبلغ الاكتتاب نحو ٣٠٠٠٠ جنيه وظهرت هذه المدرسة في اجمال مظهر وهي تعمل الآن اعمالاً مفيدة

وكذلك عنت بطريكية الانباط واست مدرسة صناعية كبرى في بولاق اكتب لها الكثير من ابناء هذه الطائفة بمبالغ طائلة وكذلك مدرسة طوخ الصناعية فانها شيدت في هذه الايام الاخيرة على احسن طراز وغير ذلك من الورش الصغيرة

واخيراً فكر يوسف كمال بك في ان يخدم امته من طريق العلم والصناعة فأسس مدرسة لتعليم الفنون الجميلة ووقف عليها عقاراً يقدر بخمسين الف جنيه واخذ في تشييد دار كبيرة لها واختار لها مديراً فرنسياً هو المسيو لابلاني النحات النابغة الشهيرة

ووكيلا هو فؤاد افندي حبيب واختار اسانذتها من الاوربيين والمصريين المشهود لهم بعلوم الكعب والتفوق في هذه الفنون الجليلة
فانعاد الامير باثناء هذه المدرسة الى مصر روح النحت والنقش والظل وفن العارة
وغير ذلك من الفنون الجليلة الكبيرة التي تعود على مصر لا محالة بجليل الفوائد
لحوم البشر

ان عادة اكل اللحوم البشرية غير محصورة في مكان ففي الكتب اليونانية القديمة اشارات اليها والايونديون الاقدمون كانوا يأكلون موتاهم وفي مكسيكو وبيرو قبل فتوح اسبانيا كانت شهر الحروب ليستحصلوا ذبائح من البشر لاعيادهم ولولائمهم
لكن هولنديا لم تزل محافظة على هذه العادة الى عصرنا الحاضر ومبتدعو تلك العادة في تلك الجزائر هم سكان جزائر الفيجي وهي عندهم من الفروض الدينية وهم مولعون بطعم لحوم البشر الى درجة ان احدهم كان يعيش مع امرأة له عيشة راضية فلا يكون منه الا ان يقتلها ويقتات بلحمها كما رواء ولهم في كتابه عن سكان الفيجي وهم لا يفضلون لحم الطفل على لحم الرجل او المرأة المسنة بل يأكلون ماتيسر بعد شيه .
من افطع العقوبات عندهم انهم يترون اطراف المجرم وهو حي يظفر اليها تشوى ونواكل

ومن افطع ما يروى ان رجلا من اهل هذه الجزيرة كان يفاخر بانه اكل مدة حياته ٩٠٠ انسان وهر مع ذلك يقرى الضيف وليس عنده من الشراسة اكثر من باقي سكان الجزيرة ممن لم يأكلوا لحم بشر مدة حياتهم . ويروى ان شيكا زعيم احدى جزائر الفيجي امر في ساحة الحرب ما يروى على مائتي مقاتل من عسكر العدو وفي صباح ذلك اليوم اولم وليمة دعا اهل الجزيرة لحضورها ومشاركته بالتمتع بلحم الاسرى .
وفي غيبة الجديدة عندما يشيخ الرجل ويصبح غير قادر على العمل يأخذه اهله ويربطونه الى غصن شجرة ويجمعون حوله يرقصون ويغنون بتولهم « الثمرة قد نضجت الثمرة قد نضجت » ثم يهزون الغصن فيقع الشيخ على الارض فيأكلونه . وفي جزائر الهبرو الجديدة يفضلون اكل لحوم السود على لحوم البيض وهذه العادة ايضا منتشرة بين سكان كليدونيا الجديدة .

يقول المستر تيلور في كتابه عن زيلندا الجديدة ان الطريقة المتبعة هي انهم يرسلون سلاا مملوءة باللحوم البشر من طرف الزعيم الى اعوانه فمن قبلها منهم يأتي الى الموعد

المضروب بمجموعه للمساعدة وهم يعدون من لا يذهب الى الحرب وبأكل من لحوم البشر « غير مهذب » وبعد انتهاء المعركة تجتمع بيث القتلى وتوزع لحومها عن العظام وترسل الى بيوت الانصار والحلفاء .

والمزبة الوحيدة في تلك العادة ان الذين يشولون تقطيع الفريسة وتعريق لحمها يصيحون على «ي» من المعرفة في تركيب اعضاء الانسان لذلك تراهما ماهرين في رد خلع المفاصل . هذا وقد اخذت تحف وطأة هذه العادة منذ اخذت المدنية الحديثة تدخل الى تلك الجزائر اه . ملخصاً عن مجلة الاثري الاميريكي

الصور السائية

تكلم احمد بك زكي في محاضرة التي نشرتها مجلة المقتبس في الجزء السادس من المجلد الخامس تحت عنوان (الكتابة والكشف ودورها) على كتاب (الصور السائية) لعبد الرحمن ابن عمر بن محمد بن سهل الصوفي فقال عنه : واذا بحثتم في ارض مصر من الشلالات الى الاشانيم ومن بادية العرب الى صحراء لوبيا لا تجدون سوى الترجمة الفرنسية وسوى الترجمة الفارسية في دار الكتب الخديوية اما الاصل العربي فقد لبس طافية الاختفاء وتطايير في الغضاء وهجر ديارنا وواصل غيرنا فيما وراء البحار ورحل عن ارض اهين بها الى بلاد ظهرت قيمته بين اهلها بحيث ان العرب الذين صدر الكتاب بلغتهم اذا احتاجوا الآن لراجعته وجب عليهم ان يتلقنوا احدي هاتين اللغتين الفرنسية او الفارسية او ان يذهبوا الى بطرسبرج وان استبعدوها فالى باريس وهناك يجدون منه خمس نسخ استغفر الله بل ستالان السادسة هي التي سأتكلم عليها الخ

وحينما تلوت هذه العبارة تذكرت اني رأيت هذا الكتاب من نحو خمس سنين في المكتبة الاحمدية التي نوهت مجلة المقتبس في ذلك الجزء بذكرها اذكرت بعضاً من نقاش كتبها فدعاني ذلك ان استفتح المكتبة واعيد النظر الى هذا الكتاب واكتب شيئاً عنه تذكيراً لعتاني هذا العلم بوجود هذا الكتاب في هذه البلاد بلغة الناطقين بالاضاد لعلمهم يسعون في طبعه ويقتبسون من غير فوائد

اوله بعد البسملة

قال عبد الرحمن بن عمر المعروف بابي الحسن الصوفي بعد ان حمد الله واثني عليه وصلى على رسوله المصطفى وآله (اما بعد) فأني رأيت كثيراً من الناس يتوضون في طلب معرفة الكواكب الثابتة في مواضعها من الفلك وصورها ووجدتهم على فرقتين احدهما

تسلك طريقة المتبحرين ومعولها على كرات مصورة من عمل من لم يعرف الكواكب باعينها وانما عولوا على ما وجدوه في الكتب من اطوالها وعروضها فسموها سيف الكرة من غير معرفة خطاتها وصوابها فاذا تأمل من يعرفها فيها وجد بعضها مخالفا في النظم والتأليف لما في السماء او على ما وجدوه في الزيجات وادعى مؤلفها انهم قد رصدوها وعرفوا مواضعها وانما عمدوا الى الكواكب المشهورة التي يعرفها كثير من الخاص والعام مثل عين الثور وقلب الاسد والسمك الاعزل والثلاثة التي في جبهة العقرب وقلب العقرب وهذه الكواكب هي التي ذكر بطليموس انه رصدها بالموالها وعروضها واثبتها في كتابه المعروف بالمجسطي لقربها من منطقة فلك البروج فرصدوها واثبتوا مواضعها في وقت ارسادهم ثم قال بعد كلام طويل :

واما الفرقة الاخرى فانها ساكت طريقة العرب في معرفة الانواء ومنازل القمر ومعولهم على ما وجدت في الكتب المؤلفة في هذا المعنى ووجدنا في الانواء كتباً كثيرة اتقها واكملها في فنه كتاب ابي حنيفة الدينوري فانه يدل على معرفة تامة بالاخبار الواردة عن العرب في ذلك واشعارها واجمعها فوق معرفة غيره من القوا الكتب في هذا الفن ولا ادري كيف كانت معرفته بالكواكب على مذهب العرب عياناً فانه يحكي عن ابن الاعرابي وابن كنانة وغيرهما اشياء كثيرة من امر الكواكب يدل على قلة معرفتهم بها وان ابا حنيفة لو عرف الكواكب لم يسند الخطأ اليهم ثم كل من عرف من الفرقتين احدى الطرفين لم يعرف الاخرى والى في كتابه اشياء من غير الفن الذي اخذ فيه نادى على نفسه بها بالخطأ وخفة البضاعة فيه منهم ابو حنيفة فانه ذكر في كتابه ان البروج الاثنا عشر لم تسم بهذه الاسماء الا لان نظم كواكبها مشاكل للصورة المسماة باسمها وان الكواكب تنتقل عن امكانها واسماء البروج غير زائلة وان زال نظم الكواكب ولم يعلم ان نظمها لا يزول ولا يتغير (الى ان قال) وقد كنت اظن بابي حنيفة ان له رياضة يعلم اليشة والرصد فقد كنت بالدينور في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة من سني الهجرة في صحبة الاستاذ ابي الفضل محمد بن الحسين نازلاً في حجرته وحكي لي جماعة من المشايخ ان كانت رصد الكواكب على سطح هذه الحجرة سنين كثيرة فلما ظهر تأليفه وتأملت ما ورد في كتابه علمت ان الذي كان يراعيه انما كان طلب الظاهر المشهور من الكواكب وما كان يحده في كتب الانواء من ذكر المنازل وما اشبهها والناس كلهم متفقون على ان لهذه الكواكب حركة الى توالي البروج

ثم قال بعد كلام طويل :

ولما رأيت هؤلاء القوم مع ذكركم في الآفاق وتقدمهم في الصناعة واقتداء الناس بهم واستعمالهم مؤلفاتهم قد تبع كل واحد منهم من تقدمه من غير تأمل لخطائه وصوابه بالعيان والنظر حتى ظن كل من نظر في مؤلفاتهم ان ذلك عن معرفة بالكواكب ومواقعها ووجدت في كتبهم من التخلّف ولا سيما في كتب الانواء من حكاياتهم عن العرب والرواية عنهم اشياء من امر المنازل وسائر الكواكب ظاهرة الفساد لو ذكرت طال انكتاب بلا فائدة عزمت مرات كثيرة على اظهار ذلك وكشفه وكان يعتريني فتور في حال واشغال تصدني عن المراد في اخرى الى ان شرفني الله بخدمة الملك عضد الدولة ابي شجاع بن ركن الدولة رحمه الله تعالى وانعم عليّ بادخالي في جملة خوله وحشمه ووجدته من فنون العلم متمكنا وفي المعرفة بها منبسطا وعلى عامة العلماء مقبلا والى جميعهم محسنا ورأيت كثير الذكر لاحوال الكواكب ما نالا الى امتحانها والوقوف على مواقعها من الصور ومواقعها من البروج والدرج بالرصد والعيان ولم اجد بحضرته من النجومين من يعرف شيئا من الصور الثاني والاربعين التي ذكرها بطليموس في كتابه المعروف بالمجسطي على حقيقتها ولا شيء من الكواكب التي في الصور على مذهب النجومين ولا على مذهب العرب الا اليسير الظاهر المشهور الذي يعرفه الخاص والعام ولم اجد لمن تقدمني من العلماء ايضا كتاب في احد الفنين يوثق بعرفة مؤلفه الا كما تقدم ذكره ولا يمكن الرصد الا بعرفة الصور وكواكب كل صورة بالنظر والعيان فرأيت ان اتقرب اليه بتأليف كتاب جامع يشتمل على وصف الصور الثاني والاربعين وعلى كواكب كل صورة منها وعددها ومواقعها من الصور ومواقعها من فلك البروج باطوالها وعروضها وعدد كواكب الفلك كلها المرصودة التي من الصور والتي حوالى الصور وليست منها

وبعد كلام طويل اخذ المؤلف يتكلم على الصور الثاني والاربعين صورة فصورة مع اثبات نفس الصورة ونقشها بحروف وارقام عند موضع كل كوكب غير ان اربع عشرة صورة منها ليس عليها شيء من الحروف والارقام وخالية من الاشارات الى مواضع الكواكب

وبعد ان ينتهي من الكلام على كل صورة يذيله بجداول فيه اسماء كواكب تلك الصورة وارقام تدل على مواضع تلك الكواكب فيها والكتاب في ١٢٧ صفحة بقطع قريب من الكامل قال ناسخه في آخره : وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة

المسماة بكواكب الصوفي في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس بعد
الالف ونحت ذلك ثلاثة اسطر اخر لم يقرأ منها سوى (المقرري الموقت بومئذ بجامع
حلب الشهاب الكبير عمره الله تعالى) حلب : محمد راغب طباح

المعادن المذخورة

نشر المؤتمر الجيولوجي الدولي الحادي عشر الذي التأم في استوكهولم خلاصة التقارير
التي طلبها من علماء طبقات الارض والمهندسين في مناجم العالم على اختلاف الاصقاع والديار
: أن مناجم الحديد في العالم بأسره وتقسيمها فتيين منها ان ما يعرف الآن من المناجم في
الدنيا يحتوي على عشرة مليارات طن وربما لا يقل المذخور سيف بطون تلك المناجم عن
خمسين الف طن وما ينبغي للعالم اليوم هو ستون الف طن وكان يكتفى سنة ١٨٧١
بثلاثة عشر مليون طن وسنة ١٨٩١ بستة وعشرين مليون طن وسنة ١٩٠١ باحد واربعين
مليون طن واذا قدرنا ما يلزم العالم من الحديد اليوم وما يعرف من مناجمه المذخورة فلا يكفي
الحديد سوى قرنين آخرين واذا لم تتدارك الحال بالبحث عن مناجم جديدة بمعدل
واليك جدولاً بما هو مذخور من الحديد في القارات الخمس ومنه ما يعرف ومنه ما يقدر
تقديراً وهو بحساب مليون طن :

مناجم مذكورة		مناجم معروفة		مناجم مذكورة	
حديد	حديد ممزوج بتراب	حديد	حديد ممزوج بتراب	اوروبا	اميركا
١٣٠٨٥	٤١٨٣٩	٤٧٣٢	١٢٠٣٢	١٣٠٨٥	٤٠٧٣١
٣٧	٦٩	٧٤	١٣٦	٣٧	٦٩
٢٨٣	٤٥٧	١٥٦	٢٦٠	٢٨٣	٤٥٧
افريقية ؟	؟	٧٥	١٢٥	افريقية ؟	؟

وجاء في جدول آخر ذكرت فيه المناجم المعروفة والتي يرجى كشفها في كل مملكة
على حدها من ممالك اوربا فكانت المملكة العثمانية كثيرة جداً بمناجمها الا انه لا يعرف
مقدارها الآن وتبين ان فرنسا أكثر ممالك اوربا بمناجمها المعروفة

فَتْحُوطُ طَبَاوُصِ طَبَوُصَاتِنَا

بدائع الصنائع

في ترتيب الشرائع للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي المتوفى

سنة ٥٨٧ هـ طبع بمصر سنة ١٣٢٨

اعتاد محمد أمين اندي الغلطي صاحب المكتبة المشهورة في القاهرة والاستانة ان يطبع للامة كل نافع من آثار سلفها الصالح فاحيا باقدامه عدة أهات ومنها هذا الكتاب في الفقه الحنفي تعرض فيه مؤلفه الملقب بملك العلماء لاقسام المسائل وفصولها ونحريجها على قواعدھا واصولھا ليكون امرع فھما واسهل ضبطا وایسر حفظا وقد جمع جملا من الفقه مرتبة بالترتيب الصناعي والتألیف الحكمي مع ايراد الدلائل الجلیة والتکات القویة وهو في سبعة اجزاء تم الاول والثاني والخامس والسادس والسابع منها وسيتم الجزآن الآخران وقد وقع في نحو ٢٥٠٠ صفحة بالنقطع الكامل على ورق جيد وحروف مصریة ولا شك ان المشتغلین بفقه الامام الاعظم یحلون هذا الكتاب محلھ من الاعتبار كما احل المالکيے المدونة الکبری المنسوبة للامام مالک والشافعية كتاب الام للشافعي فيبعد عندهم مرجعا واسعا

الدولة الاسلامية او ماضي الشرق وحاضره

تأليف الشيخ احمد الصابوني الحموي طبع الجزء الاول في مطبعة حماة سنة ١٣٢٨

ص ٢٠

كان الفاضل صاحب هذا الكتاب نشره مقالات متسلسلة في جريدته لسان الشرق فاستحسنها قراؤها فاعاد طبعها مع زيادات على هذه الصورة لجاءت شاهدة بفضلھ وبعد نظره وكتابة التاريخ على هذا الاسلوب اوقع في النفوس واغلق في الاذهان لانها عبارة عن التدبر في اعمال الرجال . فقد تكلم على طائفة من الخلفاء الراشدين والمؤرك الامويين والعباسيين فكان كلامه فلسفة على تاريخهم وبيان الحكمة من اعمالهم . ومما رواه المؤلف نقلا عن ابن عبد ربه ان عثمان حينما كبر وتقدم في العمر شد اسنانه بالذهب وقال غيره انه وضع سنا من ذهب ومعلوم ان تركيب السن من الذهب لا يكون الا بمهارة سيف الصناعة وعلم بهاعظيم . وعبرة المؤلف منجمعة وعساھ يوثق الى نشر بقية الاجزاء ليعم نفعه

الاسكا وكلونديك

تأليف جبرائيل افندي عساف مرعي من دوما (لبنان) طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس
 الشام سنة ١٩٠٩ ص ٢٢٨

مؤلف هذا الكتاب ممن اقاموا زمناً طويلاً في بلاد الاسكا وكلونديك بلاد الذهب
 فنحن له ونعما فعل ان يكتب ما عرفة عن هذه البلاد وغناها ومدنها ومناجها وركازها
 وزرعها وضرعها وصيدها وسكانها وحكومتها وادارتها وحالتها الطبيعية وما يتعلق بتلك
 البلاد من القوائد الاجتماعية والاقتصادية التي تفيد الجالية العربية الى تلك البلاد
 وانباء العربية كافة في الاطلاع على عجائب صنع الله في ارضه وهذه البقعة الصغرى
 منها التي بلغت مساحتها بحسب الاحصاء الاخير ٥٩٠٨٤٤ ميلاً مربعاً اي نحو خمس
 مساحة الولايات المتحدة وبناهز طول سواحلها البحرية ٢٦ الف ميل وهي كما قال المؤلف
 سعة بالغة تزيد عن محيط الارض عند خط الاستواء . وبالجملة فان هذا السفر نافع
 في باب واحد لو تصدى كل من ينزل منا قطراً شاسعاً من اقطار الارض فيصفه
 بما ينبغي خدمة للعلم ورجال المال والاعمال لتذكر لهم على الدهر مقرونة بالثناء الطيب
 والذكر العطر

تقويم البشير

ظهر هذا التقويم الذي تصدره مطبعة الآباء اليسوعيين كل سنة وهذه هي السنة
 الرابعة والثلاثون لظهوره وهو تأليف الاب لويس معلوف وفيه حساب السنين على
 اختلاف انواعها من شمسية وهجرية وقبطية واسرائيلية واعباد المسيحيين واصوامهم
 واسماء الرؤساء الروحيين فيهم وسماء اكرهم في المملكة العثمانية وغيرها ولا سيما البابويين منهم
 وجدول المعدودات ورؤساء الممالك العثمانية والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية ولا سيما
 في سورية واسماء الجرائد والمجلات والمطابع في بيروت ولبنان وفيها نحو ٥٧ جريدة ومجلة
 وبعض وصايا مسيحية وفوائد علمية وبيئية ولطائف في ١٧٦ صفحة جيدة الطبع والحرف

